



نحو مقبلة  
إسلامية واسعة

١٣

# الإسلام

في

مواجهته التحديات

الدكتور محمد رفيع سعيد



الإسلام  
في  
مواجهته التحديات

كافة حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مصادر الرفاهاء للسلامة والنشر والتوزيع - ش.م.ع. - المنصورة

التوزيع : شارع البحر أمام كلية الطب . ت : ٣٤٧٤٢٣

المطابع : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب - عمارة الرفاه

ت : ٣٤٧٧٢١ - ص.ب. : ٢٣٠ - تلکس : ٢٤٠٠٤ DWFAUN



# الإسلام

في  
مواجهته التحديات

الدكتور محمد رفيع سعيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ، ونستهديك ، ونصلى ونسلم على خاتم  
أنبيائك ورسلك سيدنا محمد ..... وبعد :

فمنذ أن صدع النبي — ﷺ — بأمر ربه ، والإسلام يواجه بتحديات  
شتى ولكنها — مع قوتها — تهاوى أمام بنائه الشامخ القوى المتين .

ولما كانت التحديات مستمرة إلى يومنا هذا ، وجدت من الخير أن  
أتبعها لنقف على صورها ، وأسبابها ، كيف واجهها رسول الله — ﷺ —  
ليكون لنا من مواجهته لها أسوة وإرشادا .

ولما كانت هذه التحديات مستهدفة — منذ نشأتها إلى الآن — كتاب  
الله تعالى ، وسنة رسوله — ﷺ — ، ورسول الإسلام محمد — ﷺ — ،  
والأئمة من بعده ، والأحكام الشرعية ، والسيرة والتاريخ الإسلامى ، واللغة  
العربية وآدابها ، وواقع المجتمعات المسلمة قديما وحديثا ؛ وجدت أن  
مساحة الانتفاع بدراسة هذه التحديات كبيرة ، وأن على المشتغلين  
بالمجالات السابقة أن يتعرفوا على مصادر الخطر والتحديات ، وأن يعوا  
أسبابها ، وأن يفقهوا المواجهة الصحيحة لإحباط خططها ، التخلص من  
آثارها .

من أجل هذا كانت دراستى هذه ، والتي استعنت بالله فى القيام بها  
على الرغم من ضخامتها واتساع مساحتها ، ولذلك جعلت منهجى لهذه

الدراسة قائما على التركيز الشديد ، والرصد الدقيق ، وإلا فإن كل مظهر من مظاهر هذه التحديات جدير بدراسة كبيرة وحده . وستكون هذه الدراسة — إن شاء الله في الفصول الآتية :

الفصل الأول : صور التحديات القديمة .

الفصل الثاني : صور التحديات المعاصرة .

الفصل الثالث : أسبابها ومواجهتها .

ولا أزعم الحصر لصور التحديات كلها ، بل هذا مايسر لي عرضه في هذه الدراسة .

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يمنحني فيه التوفيق والسداد .

وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلى الله على سيدنا محمد .

## تمهيد

### حالة المجتمعات البشرية قبل الإسلام

عند لحظات التأمل الصافية يجد المرء نفسه مغمورا بنعم ربه التي لاتعد ولا تحصى ، ويجد في قمة هذه النعم أن يمن الله على البشرية ببعثة خير البرية ﷺ : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .

ونستطيع أن نقف على حقيقة هذه النعمة إذا نظرنا إلى واقع المجتمعات البشرية قبل البعثة ، وكيف كان يكون حالنا الآن لو امتد هذا الواقع فظل على حاله الأولى ؟

إن واقع المجتمعات قبل البعثة يمكن وصفه بهذه الكلمة ( ضلال ) ، ولم يكن ضلالا خافيا وإنما هو ( ضلال مبين ) في جوانب الحياة كلها ، ضلال في العقيدة ، تبعه ضلال في التصورات عن الكون وعن الإنسان وعن الحياة .

وإذا فسدت العقيدة وفسد التصور لدى الإنسان فإن سلوكه مرتبط بهنا الفساد وأثر من آثاره ولكي نجلى هذه الحقيقة لتجلى لنا حقيقة النعمة ، نعرض صورا سريعة لهذا الضلال : ماذا تقول في رجل يجعل معبوده في صنم يصنعه من حجر أو خشب أو غير ذلك ، ثم يربط حياته به ، فينذر له رغبة

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٦٤ .

ورغبة ، ويتقرب إليه في سفره وإقامته ، ويرجو منه المزيد من المال ، ويستعين به لدفع الضر ؟

وإذا حوَّص العابد الضال ووجد نفسه على غير صواب خفف الأمر عقليا بأنه لا يعبد هذ الصنم لذاته ؛ وإنما يعبده ليقربه من الله الخالق ﴿ مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (١)

وماذا تقول في إنسان ينظر إلى الحياة الدنيا على أنها كل شيء ولا شيء بعدها ؟ وينطلق من هذا التصور ليضع لنفسه نظاما يتفق مع هذه النظرة ، فلا حياة إلا للأقوياء ولا وجود إلا للظالمين ؟

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وماذا تقول في نفس تواجه الحياة بنوائبها على أساس هذا التصور ؟ .

إن هذا التصور جعل اللذات أيا كان نوعها مغنما ، وجعل ما يصيب الإنسان من مكروهات كوارث قاصمة ، فالخنساء — مثلا — في هذا التصور لاتقوى على مواجهة فقد أخيها « صخر » ، فتفكر في الانتحار .

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وماذا تقول في إنسان يعلق حياته الزوجية بعقدة في شجرة تلعب بها الرياح ، فإن عاد من سفره فوجدها أمسك زوجته ، وإن عاد فوجدها قد حلت حل رباط الزوجية لأنها خائنة ؟

---

(١) سورة الزمر : آية ٣ .

ماذا لو امتدت مظاهر هذا الضلال المبين ؟ وماذا لو أبقى على  
الجاهلية بظلماتها المطبقة ؟

ولكن جاء الحق وزهق الباطل ، وجاء الهدى فأذهب الضلال المبين ،  
وجاء النور فبدد الظلمات .

وكان من فضل الله العظيم أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله .

ولاتبحين هذا الضلال قاصرا على البيئة العربية وحدها ، بل عم فارس  
والروم ، وصور الضلال واحدة في العقيدة ، والتصور ، والسلوك ، مع فارق  
البيئات واختلاف أشكال هذه الصور .

وجاء الرسول بالتوحيد ، وعرف الناس بربهم ، بأسمائه الحسنى  
وصفاته العلى ، وعرفهم حقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأمن من آمن  
وربى على حقائق الإيمان ، فظهرت آثاره فيهم ، تصورا صحيحا للناس  
وللحياة والعلاقات الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والعربية ، وصار  
السلوك قائما على مكارم الأخلاق ، وصار العلم سبيلا يتبع في حياتهم .

ووجدنا خير أمة أخرجت للناس ، ووجدنا الخنساء نفسها — وقد  
شهدت الحياتين — تقول فى استشهاد أبنائها الأربعة : الحمد لله الذى  
شرفنى باستشهادهم جميعا ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر  
رحمته .

لقد أنقذت البشرية من الضلال المبين ، ومدت بأسباب الحياة فى  
جوانبها كلها ، وكان عطاء ربانيا ينمى نماء معتدلا متسقا جميلا ، وظل عطاؤها

فى كل أثر جمىل ، ماضى أو معنوى فى عالمنا المعاصر ، وأما مانراه من سوء فإنما هو عود غير حمىد إلى صور الضلال المبین .

وإذا تذكرنا هذه النعمة وقلنا : لو قدم إلى إنسان معروف يصلح من شأنه ، ويرفع من قدره ، ويعىد إليه مكانته التى تلىق بإنسانيته ، وتشعره بوجوده ، وأهميته فى هذه الحىاة ، فماذا ترى من التصرف المنصف العاقل من هذا الإنسان المحظوظ بذلك المعروف ؟ ستقول : من المسلمات أن ىقابل هذا المعروف بالثناء الجمىل ، والحب الكبىر لمسدى هذا المعروف ، ومحاولة إرضائه بكل ماىستطىع الإنسان .

ولكن الذى حدث مع رسول الله ﷺ — كان غير ذلك ، فقد ووجه بالتحدىات منذ أن صدع بأمر ره ، وهذا ىدعونا إلى دراسة هذا الموقف العجىب والمخالف للمنطق العقلى السلىم لنقف على الأسباب والبواعث وراء هذه التحدىات التى اتخذت صوراً شتى .

فالعجب من شأن قوم جاءهم رسول كرىم ىعرفونه كما ىعرفون أبناءهم ، لقبوه بالصدق والأمانة ، حتى صار قول الناس عنه فى الذهاب والإىاب : حضر الصادق الأملن ، وصنع الصادق الأملن ..... وهكذا .... وحقموه فى معضلات الأمور ، قدم لهم صفحة ناصعة البىاض من عمر كرىم مبارك قدره العظىم أربعون سنة وىزىد ، لم ىروا فىه إلا مكارم الأخلاق ، جاءهم لىخرجهم من حالة وصلوا بها إلى الهاوىة ، جهل بالله تعالى وصفاته ، سفه وطىش وتنازع وتناحر وفساد خلقى ذاق المجتمع مرارته ، فهل ىلفظ المرىض الدواء إلا إذا أراد لنفسه الموت ، وهل ىرفض الإنسان الخىر إلا إذا كان مختل العقل والقلب ؟

## المفاجأة والتحديات :

وقد يقول قائل : إن مواجهة الرسول بالتحديات قد ترجع إلى مفاجأتهم بما لم يألفوه من عقيدة وتصورات وسلوك .

والقول بالمفاجأة لا يجد مايسنده من دليل ، لأن الرسول — ﷺ — قد سلك بالناس مسلكا يجنبهم صدمات المفاجأة ، وذلك بتوجيه من ربه ، فاختر — وهو المبعوث للعالمين أجمعين — أعقل الناس ليخاطبهم مخاطبة فردية ، وحدثهم عن دعوته ، فأسلم أبو بكر ، وأسلمت قبله خديجة أم المؤمنين ؛ لأنها كانت أول من تلقى نبأ الوحي عندما جاءها الرسول الكريم يرجف من رؤية الملك ، وكان منها الموقف الكريم ، والتبشيت العظيم ، والتبشير وذكر المحاسن التي معها لا يكون الخزي أبدا « إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعلوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » (١) وأسلم على — رضى الله عنه — ودعا أبو بكر غيره ..... وهكذا ..... كان سير الدعوة بتدرج رقيق ، وانتشار لطيف لمدة ثلاثة أعوام ، حتى شاع الخبر وذهب عنصر المفاجأة .

وكان التدرج الحكيم فى أسلوب الدعوة والذى اختاره الله لرسوله أن ينلر عشيرته أولا ، وأن تعرض الدعوة والإنذار ، والتبشير لأم القرى أولا ، ثم يكون بعد ذلك لمن حولها ، وتتسع الدائرة اتساعا منطقيًا لتشمل العالمين .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٥٩ والسيرة للذهبي ٨٤ وانظر : صحيح البخارى — باب كيف كان بدء الوحي ١ / ٢ .

وكنا نتوقع أن نجد في هذا التسلسل قبولا مطلقا ، وشكرا على هذه  
المنة دون مواجهة من أحد ، وخاصة ممن هم في حاجة ملحة إلى إنقاذ مما  
وقعوا فيه من جاهلية ، ولكن حدث غير ما توقعنا ، بل ومن الدائرة الأولى  
دائرة الأقرين .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — لما نزلت الآية : ... ﴿ وأنذر  
عشيرتك الأقرين ﴾ صعد النبي — ﷺ — على الصفا فجعل ينادى : يا بنى  
فهر يا بنى عدى — لبطون قريش — حتى اجتمعوا ، فجعل الذى لم يستطع  
أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش ، فقال النبي —  
ﷺ — : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم  
مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب  
شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى  
﴿ تبت يدا أبا لهب وتب ﴾ .

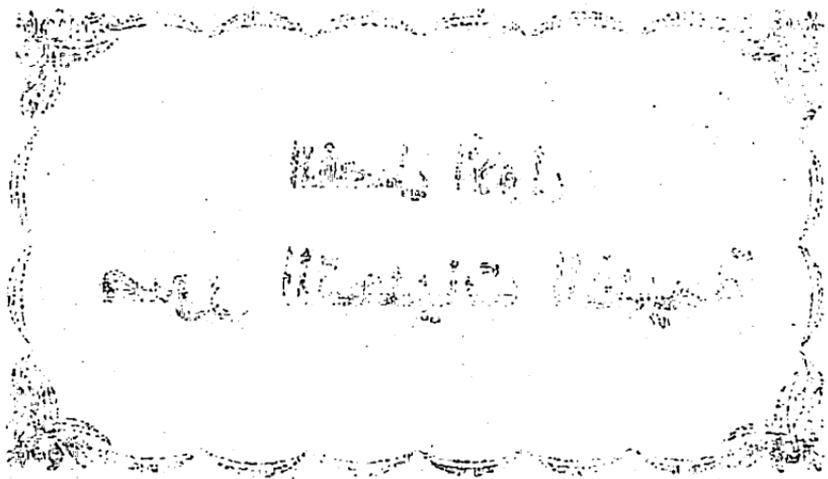
ولما كان هذا الموقف من أبا لهب بداية لمواجهة ساخنة لرسول  
الله — ﷺ — ولمن آمن معه دون ميرر منطقي معقول ، كان علينا أن نبحث  
الأسباب الأخرى التى يمكن أن تكون وراء مثل هذا الموقف الغريب  
والمتكرر على مر التاريخ ، لأنه فى منطق العقل السليم لا يكون جزاء  
الإحسان إلا الإحسان .

---

(١) انظر : فقه السيرة للقرالى : ١٠٠ — ١٠١ .



الفصل الأول  
صور التحديات القديمة



## صور التحديات القديمة

إن غلق باب الفكر أمام ما يعرض على الإنسان ليس فى صالحه ، فإن الذى يُعرض ينبغى أن يُنظر إلى عارضه ومقدمه ، فإن كان ثقة فى الناس ، حرصا عليهم ، عرف بالحكمة ، فمن العجز والحرمان أن ينصرف الناس عن دعوته ، فإذا أضفت إلى ذلك حالة الإنسان ومدى حاجته إلى دعوة هذا الداعى الأمين ؛ كان الإنصراف هلاكا ؛ وليس حرمانا فحسب .

وإذا كان الداعى على غير هذه الصفات ؛ فمن الحكمة أن تنظر كذلك فيما يدعو إليه لتبطله بالحجة ، أما أن يكون الإعراض بلا تفكير ، أو أن يكون وصم الداعى ودعوته بعيوب مداعة لا تتطابق مع واقع ما يدعو إليه ، فإن هذا يدعو إلى العجب ، بل والأعجب منه أن تنشب المعارك الطاحنة بين قوم يقدم لهم مافيه خيرهم ، وبين من يقدم لهم هذا الخير .

وتأخذ هذه المعارك صوراً تدل على ماوراء هذا الرفض والعناد من حقد مدمر وتناقض نتيجة العمى الذى يورثه هذا الحقد .

### أولا : الفتنة فى الأبدان والأموال :

فمن هذه الصور الفتنة التى مست الرسول — ﷺ — ومن آمن معه فى الأبدان ، بدءا من وضع الشوك فى الطريق ، وإلقاء النجاسات على جسده وهو ساجد ، والتجويع نتيجة المقاطعة الاقتصادية ، وانتهاء بمحاولة قتله . فالعجب من موقف رجال من قريش مع رسول الله — ﷺ — ، يريد حياتهم الطيبة ، ويريدون تدميره والقضاء عليه .

« مشى رجال من قريش إلى أبى طالب وقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه

عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه  
فنكفيكه » (١)

ألم يكن من المعقول أن ينظر هؤلاء فيما يدعوهم إليه ، بدلا من أن يمشوا  
إلى أبي طالب ؛ لئسكت ابن أخيه أو ليسلمه لهم ليقتلوه ؟

وإذا فهموا أن فى كلام رسول الله — ﷺ — سبا لآلهتهم وعيب  
دينهم ، وتسفيه أحلامهم ، فهل نظروا فى حقيقة ما هم عليه ، حتى يدركوا  
صدق رسول الله فى إنقاذهم من هذا السفه ، ومن ضلال عبادة الأصنام ،  
وقطع الارتباط بتقليد الآباء فى ضلالهم ؟

لم يفعلوا ذلك ، ولكنهم مشوا مرة أخرى والعمى مستمر ، مشوا إلى أبى  
طالب « فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد  
استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم  
آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك — أى  
نحاربكما — فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » (٢)

إنها متابعة ، ولكنها متابعة حمقاء : فهل يتابع الإنسان الحرص على  
ما يضره ويهلكه ؟ إنها متابعة منهم لأبى طالب ليكف ابن أخيه عن تقديم  
الخير لهم ، وتهديد بالحرب المهلكة .

وتستطيع أن تضحك عجا من مشيهم الآتى إلى أبى طالب مرة ثالثة :  
( مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا  
عمارة بن الوليد ، أنهد فتى — أشده وأقواه — فى قريش وأجمله — فخذ

(١) انظر : السيرة لابن هشام ١ / ٢٧٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ١ / ٢٧٨ .

فلك عقله — أى ديته إذا قتل — ونصره ، واتخذته ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل . (١)

أرأيت طبيعة التفكير ؟ يعطونه ولدهم ليفغوه ، ويعطيهم ابن أخيه ليقتلوه ، ويغرونه بديعة عمارة إذا قتل .

أرأيت قيمة الإنسان فى أعراف الجاهلية ؟ وأنهم فى أشد الحاجة إلى وحى ربهم لينقذهم ؟ ولكنهم وضعوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا .

والمرء عندما ينصرف عن خير دعى إليه ، فذلك حرمان له يصيبه ، وعندما يعرض عن إنذار له من شر يقيم عليه ، فإن الشر سيهلكه ، وذلك الإعراض الذى يخوضه يدل على قصور فيه ، وجهل يعميه عن التمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر ، ولكن يبقى ذلك فى دائرته ، أما أن تجد المدعو لا يكتفى بهذا الإعراض ، وتمتد يده الآثمة لتؤذى الداعى ، فإن ذلك يدل على حماقة بالغة ، ونفسية خبيثة ، وحققدفين ، وأثرة مفرطة فقد يكون فى الدعوة خير للآخرين ، وحماية لهم من مظالم هذا الحاقد الخبيث .

وتزداد درجة الحماقة والحققد والحسد فيه عندما يجده لا يكتفى بإيذاء الداعى ، وإنما يغيظه أن يرى إنسانا آخر فى مجتمعه فتح عينيه ، وأعمل عقله ، وأصغى بقلبه ، واستجاب بجوارحه للدعوة التى رفضها. هذا الحاسد الحاقد ، فتمتد يده بالأذى لمن آمن واستجاب ، وأقام من نفسه قيما على

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام : ١ / ٢٧٩ .

عقول الناس وتفكيرهم ، فلا ينبغي أن يروا إلا ما يرى ، وينبغي أن يكونوا تبعاً له في جهالته .

بمثل هؤلاء تعوق الأمم وتشغل بسفاهتهم ، وكل هذا وقع مع الداعي الكريم والناصح الأمين رسول الله محمد ﷺ — ، فكان عليه الصلاة والسلام في صلاته يرمى عليه — وهو ساجد — بكرش الجزور ، أو رحم الشاة المذبوحة ، وكانت الأنجاس تلقى أمام بيته ، فهل هذه مواجهة عاقلة .

والعجيب أن هذا الأذى من المشركين لم يقتصر على الرجال ، بل لعبت فيه بعض النساء دوراً يدل على تبييته في البيوت ، إفلاسا من المواجهة الصحيحة والتفكير المفيد .

فكانت أم جميل — امرأة أبي لهب — تحمل الشوك وتطره على طريق رسول الله ﷺ — ورأته مرة وهو جالس بالمسجد ، ويدها حجر تريد أن تضربه به ، فصرف الله بصرها عنه فلا ترى إلا أبا بكر فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت شعراً تهجو به الرسول

مذمماً عصينا وأمره أيننا ودينه قلىنا

ثم انصرفت ، وقال أبو بكر : يا رسول الله : أما تراها رأتك ؟ فقال — ﷺ — مارأتنى لقد أخذ الله بصرها عنى (١)

وتشم فى كلام امرأة أبى لهب رائحة الاستعلاء القائم على الحسد ، فعندما تطرح الشوك على الطريق أمام رسول الله ﷺ — حسداً وحقداً

(١) انظر : سيرة ابن هشام : ( ١ / ٣٨١ — ٣٨٢ ) .

فهذا عمل عادى ، لاتلام عليه ، بل لاتريد أن تسمى به ، أى أحزنها أن تسمى — حمالة الحطب — ، وناقضت شهادة أهل مكة جميعا فى رسول الله — ﷺ — عندما هجت وقالت « مذمما » — وهو محمد صاحب الخلق العظيم — عند من آمن به وعند من لم يؤمن به ، ولكنه رفض الخير وكره ما جاء به دون تفكير [ قاتل الله الحسد كم أعمى قلوب الكثيرين فحرمهم مما فيه خيرهم ] .

وهذا الذى مس رسول الله — ﷺ — من الأذى قد شمل أصحاب النبى — ﷺ — على اختلاف فى درجاتهم من حيث الانتاء إلى قوة عصبية تدفع عنهم بعض الأذى ، ويحسب لها حساب من قبل المشركين ، فهذا عمار وأبوه ياسر وأمه سمية كان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرهما ومر بهم النبى — ﷺ — وهم يعذبون ، فقال : صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة . (١)

ولم يكن التعذيب لفترة زمنية يسيرة أو بدرجة معقولة ، وإنما كان يشتد ويستمر إلى درجة الاختلاف ، فمات ياسر فى العذاب ، وأما سمية فأغلظت القول لأبى جهل بعزة إيمانها ، فتصرف معها أبو جهل تصرفاً لا يلقى بالرجال ، فطعنها فى قبلها بحربة فى يديه ، فماتت ، وهى أول شهيدة فى الإسلام ، وأما عمار فشددوا عليه بالحر تارة ، وبوضع الصخر على صدره تارة أخرى وكذلك التفريق . (٢)

(١) انظر : فقه السيرة للغزالي : ( ص ١٠٧ ، ١٠٨ ) .

انظر : المرجع السابق .

وأما بلال فتعذيبه مشهور فكان أمية بن خلف إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يقلبه على الرمال الملتهبة ظهراً لبطن ، ويأمر بالصخرة الجسيمة فتلقى على صدره ، ثم يقول له : لانزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد .  
وتعبد اللات والعزى فما يزيد بلال عن ترديد أحد أحد (١)

وهذا اللون من التعذيب البدني كان محاولة من المشركين في التأثير على المؤمنين ، ليعودوا عن إيمانهم ، ولكن مع شدته لم يحقق النتيجة التي يتغيها المشركون ، وثبت لهم أن قوة الإيمان إذا بلغت منتهاها في القلوب عجز الحديد والنار عن اقتلاعها .

على أن المشركين لم يكتفوا للتأثير على المؤمنين بهذه الفتنة البدنية ، وإنما سلكوا سبيلاً آخر وهو الفتنة في الأموال ، التي شملت المقاطعة الاقتصادية ، والمغلاة في الأسعار ، وكذلك الاستيلاء والمصادرة لأموال المؤمنين ، ظنا منهم أن هذا الأسلوب سيحدث أثره في قلوبهم .

قال ابن إسحاق :

( فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ — قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ — ، وجعل الإسلام يفتش في القبائل ، اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطلب ، على أن لا ينحكوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا

---

(١) انظر : المرجع السابق : ١٠١ .

وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم<sup>(١)</sup>

ولا يتصور أن هذه المقاطعة كانت أمراً هيناً ، بل كانت شديدة على أصحاب النبي وعلى أهله إلى درجة نقف على حقيقتها عندما نقرأ كلام سعد ابن أبي وقاص — رضى الله عنه — حيث يقول : خرجت ذات ليلة لأبول ، فسمعت قعقة تحت البول ، فإذ قطعة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ورضختها بالماء ، فقويت بها ثلاثاً<sup>(٢)</sup> .

فهذه المقاطعة كانت شديدة على الكبار والصغار ، ولكنها لم تحدث أثرها الذي يرجوه المشركون واستعمل المشركون في التأثير المالى والاقتصادى أسلوباً آخر وهو المغالاة فى الأسعار على المؤمنين قال السهيلي : كانت الصحابة إذا قدمت عير فى مكة يأتى أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله ، فيقوم أبو لهب فيقول : يامعشر التجار : غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، وقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن ، لا خسار عليكم ، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافاً مضاعفة !! وحتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يده شىء يطعمهم به ، ويغدو التجار على أبى لهب فيريحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً<sup>(٣)</sup> .

ولم يكتف المشركون فى هذه الفتنة المالىة والاقتصادية بهذا ؛ بل

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام ( ١ / ٣٧١ / ٣٧٢ ) .

(٢) انظر : فقه السيرة للغزالي : ١٢٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ١٢٤ .

صادرروا واستولوا على ما يمكن الاستيلاء عليه من أموال المؤمنين . قال سعيد بن المسيب .

« لما أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي — ﷺ — فاتبعه نفر من قريش ، نزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال : يامعشر قريش لقد علمتم أني من أركامكم رجلا ، وأيم الله لاتصلون إلي حتى أرمى بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقى في يدي منه شيء إفعلوا ماشئتم ، وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي ، قالوا : نعم . فلما قدم على رسول الله — ﷺ — المدينة قال : ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع أبا يحيى ، قال فنزلت : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ (١) .

ثانيا : محاولة التشويه لشخصية الرسول — ﷺ — :

وأراد المشركون في هذه الصورة أن يحولوا بين من لا يعرف الرسول وبين الإقبال عليه ، فهذا التشويه كان موجها للقادمين من خارج مكة وبذلوا في ذلك جهدا كبيرا لمحاولة الوصول إلى صفة منكرة فلم يجملوا ، ولذلك قالوا كلاما لم يؤمنوا به أنفسهم .

لأنهم عرفوا شخصية النبي — ﷺ — لفترة زمنية طويلة ، أى أكثر من أربعين سنة .

ولذلك فإن ما قيل من ألفاظ لا يتطابق مع ما عرف عن محمد الذي لقب بالصادق الأمين ، ومحكم في معضلات الأمور ، فكيف يكون كما

(١) البقرة : ٢٠٧ .

(٢) حلية الأولياء : ١ / ١٥١ ، ١٥٢ .

قالوا عنه : مجنوناً ، أو ساحراً ، أو كذاباً ، أو كاهناً ، أو شاعراً ؟ وقد ذكر القرآن الكريم أقوالهم هذه :

قال تعالى : ﴿ وقالوا يأبىها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ (٢)

وكان العاص بن وائل السهمى إذا ذكر رسول الله ﷺ — قال : « دعوه فإنما هو رجل أبترا لعقب له ، ولو مات لانقطع ذكره واسترحتم منه »

ورد عليه : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ (٣) وهذه الصفة الأخيرة دليل على إفلاسهم ، وعدم وقوفهم على صفة دميمة ، فقال العاص بهذا الذى لادخل لأحد فيه .

ومحاولة التشوية هذه كانت تعقد لها الجلسات ، ويدبر لها ، لمحاولة التأثير على القادمين ، فقد اجتمع الوليد بن المغيرة مع نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يامعشر قريش : إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس : فقل وأقم لنا رأياً

---

(١) سورة الحجر : ٦ .

(٢) سورة ( ص ) : ٤ .

(٣) سورة الكوثر : ١ — ٣ ﴿ إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شاتك هو الأبترا ﴾ .

نقل به ، قال : بل أنتم قولوا اسمع ، قالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو  
بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن — والزممة كلام خفي  
لا يفهم — ولا سمعته ، قالوا : فنقول بمجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد  
رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه — الاختناق الذي يصيب المجنون —  
ولا تخالجه — التخالج اختلاج الأعضاء وتحركها من غير إرادة — ولا  
وسوسة ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله :  
رجزه ، وهزجه ، وقريضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول :  
ساحر قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرمهم ، فما هو بنفثهم ،  
ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله  
لحلاوة وإن أصله لمغدق — المغدق : الكثير الشَّعب والأطراف ) — وفي  
نص آخر غدق ( والغدق : كثير الماء ) — وإن فرعه لجناة — وإن : فيه ثمر  
يجنى ، وما أنتم بقاتلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول  
فيه لأن تقولوا عنه هو ساحر جاء بقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ،  
وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه  
بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد  
إلا حلروه إياه وذكروا أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة :  
﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا مملودا ، وبينين شهودا  
ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه  
صعودا ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم  
عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول  
البشر ﴾ (١)

(١) انظر : السيرة لابن هشام : ١ / ٢٨٣ — ٢٨٥ .

فواضح من هذا كيف كان صعبا أن يجلوا سبيلا إلى تشويه شخصية الرسول ﷺ — أمام الناس ، فلجأوا إلى محاولة الطعن فيما جاء به فوصفه بأنه سحر يفرق به بين الناس ، وكأنهم يريدون بهذا أن يقولوا للناس إن الذى جعل الابن المؤمن يفارق أباه ، والزوج المؤمن يفارق أهله ، والأخ المؤمن يفارق أخاه لم يكن باقتناع هؤلاء المؤمنين بصحة ما يدعو إليه الرسول ، وإنما كان نتيجة لسحره ، ولذلك نتابع صورة أخرى من صور التحدى تتضمن هذا وهى .

### ثالثا : محاولة التشكيك فيما يدعو إليه ﷺ :

وهذه الصورة من التحديات يراد بها الطعن فى مصون الدعوة ، واتخذت صورا منها :—

أ — القول ببشرية القرآن .

ب — التماس التناقض .

ج — إحداث اللغو فيه .

أ — فأما القول ببشرية القرآن : فقد نسب المشركون هذا القرآن إلى رسول الله ﷺ — وأنه من عنده ، وليس من عند الله ، ورد عليهم القرآن الكريم فى هذه الدعوى إن كانوا يزعمون بأن هذا القرآن من عند محمد ، فليأتوا بمثله ، أو فليأتوا بعشر سور من مثله ، أو فليأتوا بسورة من مثله ، وقرر القرآن عجزهم عن الإتيان بمثله لو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وإذا كنا نقول : إن الأسلوب هو الرجل ، بمعنى أن أسلوب كل إنسان يدل على صاحبه ، فإن كلام الله — سبحانه وتعالى — يعلو فوق كلام

البشر ؛ لأنه كلام خالقهم سبحانه وتعالى ، فلذلك تضمن القرآن الكريم — وجوها من الإعجاز — سنتناولها — إن شاء الله تفصيلا فى عنصر المواجهة ، لنرى كيف يكون اليقين فى أن هذا القرآن كلام رب العالمين .

كما رد واقع النبى — ﷺ — على زعم الكافرين أن هذا القرآن من عنده ، لأن رسول الله — ﷺ — كان أميا ، ولم يقرأ من قبله كتابا ، ولا خطه يمينه ، فكيف يأتى بمثل هذا القرآن من عنده ؟

ولما وجدوا أن هذا الزعم غير مقبول ، لأن رسول الله منهم ويتكلم بلسانهم فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، نسبوا هذا الأمر إلى معلم وقالوا : « إنما يعلمه بشر » ، وكانت هذه الفرية مضحكة ؛ لأن هذا البشر الذى زعموه معلما كان أعجميا ، فكيف ؟ وهذا لسان عربى مبين .

وإن قال قائل : إن هذا البشر عَلِمَ المعانى ، فنقول : كيف يقوم بمثل هذا التعليم العظيم ثم لا يدعيه لنفسه ؟ ولماذا قصر هذا التعليم على رسول الله — ﷺ — وحده ؟ ثم لو كان هذا من عند هذا المعلم النصرانى ، فكيف وقد جاء القرآن ليصحح أخطاء النصارى وانحرافاتهم ، وأخطاء اليهود وانحرافاتهم ، وجاء بما لا يوجد لدى اليهود والنصارى من أخبار وتشريعات ؟

فالقول ببشرية القرآن مردود ولم يجد رواجا ولذلك سلكوا مسالك أخرى لمحاولة الطعن منها .

ب — التماس التناقض مضمون الدعوة :

وكان هذا نتيجة جهلهم حقائق ما يُدْعَوُ إليه ، وعدم إدراك الترابط فى

مضمون الدعوة. يتضح ذلك من الموقف الآتي :

« جلس رسول الله ﷺ — يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ — فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلى عليه وعليهم : (١) ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ .

ثم قال رسول الله ﷺ — ، وأقبل عبد الله بن الزبيرى السهمى ، حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب — آنفا وماقعد — وقد زعم محمد أنا ومانعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله السهمى : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيزا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم ، فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبيرى السهمى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ — من قول ابن الزبيرى ، فقال : ﷺ — : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته . فأنزل الله — تعالى — عليه : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها . وهم فيما اشتهدت أنفسهم خاللون ﴾ (٢) . أى عيسى بن مريم وعزيز ، ومن عُبدوا من الأخبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله

(١) الأنبياء / ٩٨ .

(٢) الأنبياء / ١٠١ — ١٠٢ .

سبحانه ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الخلافة أربابا من دون الله عز وجل<sup>(١)</sup> فهذه من محاولاتهم فى إيجاد التناقض ، للتشكيك فى مضمون الدعوة ، ولما لم يفلحوا فى ذلك سلكوا سبيلا آخر هو :

جـ — سبيل إحداث اللغو والتشويش : على ما يدعوا إليه — ﷺ — وقد ذكر القرآن الكريم هذا الأسلوب فى قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ .

فكان النضر بن الحارث — الذى سبق ذكره — إذا جلس رسول الله — ﷺ — مجلسا فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحضر قريشا ما أصاب الأمم الخالية خالفه فى مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم السنديذ ، وقال أبو ذر : السنديذ بلغة فارس هو طلوع شمس ، وهم ينسبون إليه كل جميل .

وعن استنديار وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسم حديثا منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبها فأنزل الله فيه : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله انذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيفا ﴾ .  
ونزل فيه : ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾<sup>(٤)</sup> .  
ونزل فيه : ﴿ وبلى لكل أفك أثم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر

(١) الفرقان : ٥ ، ٦ .

(٢) القلم : ١٥ .

(٣) أنظر : السيرة لابن هشام ١ / ٣٨٢ — ٣٨٤ .

(٤) فصلت / ٢٦ .

مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴿١﴾  
فهذه بعض محاولات الطعن في مضمون الدعوة والتشكيك فيها لصرف  
الناس عنها ، ولكنها محاولات باءت كذلك بالفشل ، ولذلك لجأوا إلى  
أساليب أخرى وصور من التحدى ، منها :—

### رابعا : المساومة والإغراء :

ولما فشلت المحاولات السابقة في صرف المسلمين عن دينهم ، ومن  
وقف المد الإسلامي وتعويق سيره لجأ المشركون إلى أسلوب المساومة على  
المبادئ وإذا ساغ هذا لهم باعتبار أنهم ليسوا على مبدأ يقيني ؛ فإنه لا يجد  
قبولا لدى رسول الله — ﷺ — ولدى أصحابه ، فقد رسخت عقيدة  
التوحيد في قلوبهم ، فلا تقبل تحويرا ، ولا تبديلا ولا شركا . جاء في  
كتب السيرة أن رسول الله — ﷺ — كان يطوف بالكعبة فاعترضه الأسود  
بن المطلب بن أسد بن عبد المعزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف  
والعاص بن وائل السهمي وكانوا ذوى أسنان في قومهم ، فقالوا : ( يا محمد  
هلم فنلعب ماتعبون وتعبد مانعبد ، فنشرك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان  
الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان مانعبد خيرا مما  
تعبد كنت قد أخذت بحظك منه <sup>(٢)</sup> وهذا العرض وتلك المساومة تدل على  
أنهم ليسوا على شيء ، وكان الجواب الذى لاجواب غيره رفض هذه  
المساومة . ويأتى في ذلك قول الله تعالى لرسوله .

(١) الجاثية : ٧ ، ٨ وانظر : السيرة لابن هشام : ١ / ٣٨١ .

(٢) انظر : السيرة لابن هشام ٢ / ٣٨٨ .

﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون مآعبد...  
الآيات ﴾ (١)

ولما لم يجد المشركون قبولاً واستجابة لهذه المساومة اجتمع وفد آخر برسول الله - ﷺ - ؛ ليساومه مساومة فيها إغراء بالمال والملك والجاه ، ظنا منهم أن رسول الله - ﷺ - يريد بهذا الأمر هذه المعاني التي يقدمونها ، فقالوا له : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثلما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسببت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة .... إلخ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤياً تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رؤياً يذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، فقال - ﷺ - : « ما بي ما تقولون ، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، أو كما قال - ﷺ - : وفي هذا يقول عز وجل : ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ (٢) .

(١) سورة الكافرون : ٢ .

(٢) سبأ : ٤٧ .

وبذلك لم تفلح محاولة المساومة والإغراء مع النبي ﷺ — ،  
فكانت الصورة الآتية :

خامسا : السخرية من المؤمنين ومن المبادئ التي آمنوا بها :

وذلك لمحاولة التأثير عليهم في حرب نفسية للانتقاص من شأنهم ،  
فكان المشركون إذا رأوا أصحاب النبي ﷺ — يتغامزون بهم ويقولون :

قد جاءكم ملوك الأرض الذين سيغلبون غدا على ملك كسرى  
وقيسر ، ثم يصفرون ويصفقون<sup>(١)</sup> . فالسخرية — هنا — من المؤمنين  
وكذلك من مضمون الدعوة ، حيث يتهمون على ما وعد به المؤمنون —  
في ضعفهم هنا — من التمكين في الأرض ، وفتح ملك كسرى وقيسر ،  
ولذلك وصف الله — عز وجل — هؤلاء الساخرين بالإجرام ، فقال تعالى :  
﴿ إن الذين أجزموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم  
يتغامزون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا المسلك الساخر إنما يقوم على قصر نظر المشركين ، وعلى  
هوانهم واستبعادهم للوصول إلى ملك كسرى وقيسر ، لقوتهم وشدة منعتهم  
وكبر حجمهم في نفوس المشركين .

ومن نماذج السخرية بالمبادئ كذلك . ما كان من موقف العاص مع  
خباب فقد عمل خباب بن الأرت ( وكان حدادا يعمل السيوف بمكة )  
للعاص عملا حتى كان له عليه مال ، فجعل يتقاضاها منه ، فقال العاص :

(١) انظر : فقه السيرة للغزالي : ١١٠ .

(٢) المطففين : ٢٩ — ٣٠ .

ياخياب : أليس يزعم محمد صاحبكم الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما  
ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ، قال خباب : بلى : قال :  
فأنظرنى إلى يوم القيامة ياخياب ، حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك حقتك  
هناك ، فو الله لا تكون أنت وصاحبك ياخياب أثر عند الله منى ولا أعظم حظا  
فى ذلك ، فنزل فيه قوله تعالى : ﴿ أفأرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا  
وولدا \* أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا \* كلا سنكتب مايقول ونمد  
له من العذاب مدا \* ونرثه مايقول ويأتينا فردا ﴾ (١) .  
وهذا الأسلوب الساخر من علامات الإفلاس كذلك فى مواجهة  
المؤمنين .

#### سادسا : عداوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

ولقد ووجه رسول الله — ﷺ — والمؤمنون بعداوة شديدة من أهل  
الكتاب لانقل عن عداوة المشركين ، على الرغم من أنهم وخاصة اليهود  
كانوا يستفتحون على الذين كفروا ويقولون لهم : لقد آن أوان مبعث النبى  
الذى سنقاتلكم معه قتل عاد وإرم . قال الله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس  
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ (٢) وقال جل شأنه : ﴿ يأيها  
الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت  
البغضاء من أفواههم وما تخفى صلورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم  
تعقلون \* ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا  
لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا  
بغيطكم إن الله عليم بذات الصدور \* إن تمسكم حسنة تسؤهم ، وإن

(١) انظر : السيرة النبوية فى القرآن — عبد الصبور مرزوق : ٩٢ .

(٢) المائدة : ٨٢ .

تصبيكم سيئة يفرحوا بها . وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا . إن الله بما يعملون محيط <sup>(١)</sup> .

فاليهود والذين أشركوا أشد عداوة لايقصرون في إيقاع العنت بالمؤمنين ، وفي تناولهم على ألسنتهم بالسوء ، وفي حملهم لقلوب امتلأت بالكره والبغض للمؤمنين ، وفي غيظ يجعلهم يسرون بالمصيبة التي تقع بالمسلمين وبالإستيلاء إذا نال المسلمين حسنة .

يحكى ابن إسحاق عن السيدة صفية بنت حيى بن أخطب قالت : كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمى أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حى بن أخطب وعمى أبو ياسر ، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس قالت : فأتيا كألين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ماالتفت إلى واحد منهما لما بهما من الغم ، قالت : وسمعت عمى يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم ، والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته ما بقيت <sup>(٢)</sup> .

ولقد اتخذت هذه العداوة أساليب منها :

أ — الأسئلة التي توجه للتلبيس والتعنت .

ب — الحرب النفسية .

ج — الإيمان أول النهار والكفر آخره .

(١) آل عمران : ١١٨ .

(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٢ / ١٦٥ .

د — مغالطات اليهود والنصارى وكذبهم .

ه — محاولة التفريق بين المسلمين .

فمن تلبسهم للحق بالباطل ما كان يفعله أخبارهم من توجيه الأسئلة إلى رسول الله — ﷺ — ، ليس لطلب العلم ؛ وإنما للتلبس والتعنت ، ولكن القرآن الكريم كان ينزل فيهم وفيما يسألون عنه ليبين وجه الحق ، ويظهر الزيغ والتحريف الذى تممدوه . ومن جحودهم للحق وتنكرهم لليهود والمواثيق التى أخذت عليهم نحو رسول الله — ﷺ — قال مالك بن الضيف — حين بعث رسول الله — ﷺ — وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه — : والله ما عهد إلينا فى محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأنزل الله فيه :

﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ (١)

ومن مظاهر تعنتهم ما قاله رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله — ﷺ — : يا محمد اثنتا بكتاب ونزله علينا من السماء نقرأه ، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله — تعالى — فى ذلك : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ (٢)

فمن العجيب أن يطلب هؤلاء مثل هذه المطالب وهم ينتسبون إلى دين فقد عرفهم شيئا من أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله ، وعن صفات الرسل

---

(١) البقرة : ١٠٠ .

(٢) البقرة : ١٠٨ .

ومهمتهم وحلود قدرتهم ، ولكن لؤم اليهود وخسة طبعهم جعلتهم يتكبرون لكل هذا ، فيقول رافع بن حريملة كذلك لرسول الله ﷺ — يا محمد إن كنت رسولا من الله — كما تقول — فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية . كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم . تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ (١)

ولم يكتف اليهود بأن يكون هذا الضلال خاصا بهم ؛ بل حاولوا إضلال غيرهم والتليس عليهم ، وكان حى بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب زعيمين في هذا السبيل فكانا من أشد اليهود للعرب حسداً إذا خصهم الله تعالى برسول الله ﷺ — وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله تعالى فيها :

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ (٢)

ولكى يصل اليهود إلى هذا الإضلال اتبعوا سبيل الخداع والالتواء مع المؤمنين ؛ لمحاولة التأثير عليهم نفسياً ، فقال عبد الله بن ضيف وعدى بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غلوة ونكفر عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، يرجعون عن دينه . فأنزل الله — تعالى فيهم — ﴿ يأهل الكتاب لم

(١) البقرة : ١١٨ .

(٢) البقرة : ١٠٩ .

تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ، وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون • ولاتؤمنوا إلا لمن تبع دينكم • قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم • قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم ﴿١﴾

ولم تقتصر الحرب النفسية على محاولة إضلال المؤمنين على هذا السبيل . بل أتبعت أساليب أخرى منها :

التقليل من قيمة ما يحققه المسلمون من انتصار ، ومحاولة إظهار اليهود لأنفسهم بأنهم فى قوة لا يستطيع المسلمون مواجهتها ، فلما أصاب الله — عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله — ﷺ — اليهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب قريشا ، فقالوا له : يا محمد لا يغرناك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أنا نحن الناس وأنت لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فتنتنا القتلة فقتلنا فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ (٢)

ففى هذا الموقف محاولة للتأثير النفسى من اليهود حتى لا يفكر المسلمون فى مواجهتهم ، ولذلك حاولوا تغليف أنفسهم بهالة من القوة

(١) آل عمران : ٧١ ، ٧٣ .

(٢) آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

المزعومة ، وفي الوقت نفسه بذلوا محاولاتهم في التفريق بين المسلمين في المدينة المنورة ، بعد أن ألف الله بين قلوبهم وجعلهم بنعمة الله إخوانا .

قال ابن إسحاق : مر شيخٌ من يهود عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، مر على نفر من أصحاب رسول الله — ﷺ — من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه مارأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بنى قبيلة بهذه البلاد — الملأ : جماعة الناس ويقال أشرافهم ، وقبيلة أم الأنصار — لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتى شابا من يهود كان معه ، فقال اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعثت ، وما كان قبله ، وأنشدكم بعض ما كانوا يقولوا فيه من الأشعار — وكان يوم بعثت يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج — ففعل فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا ، وتفاخروا ، حتى توثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، وغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا . موعدكم الظاهرة — الحرة — السلاح السلاح ، فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله — ﷺ — ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم .

فقال : يامعشر المسلمين ، الله الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ....  
فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله —

ﷺ — سامعين مطيعين ، قد أظفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بين قيس . (١)

فهذه وسيلة اتبعها اليهود بعد ما رأوا آثار الإسلام فى إيجاد المجتمع المسلم القوى المتماسك حيث غاظهم هذا ، ووجدوا أن هذه القوة تمثل خطرا عليهم وتزداد يوما بعد يوم .

ولقد اشترك النصارى مع اليهود فى المغالطات والكذب وتغيير ما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل ، ورد القرآن الكريم عليهم هذه المغالطات ، فحين اجتمع أخبار اليهود ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ تنازعوا ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا ، وهم بهذا الزعم يريدون كسب إبراهيم وإضافته إلى جانب من الجانيين ، وأنهم أولى الناس بالإنتماء إليه من هؤلاء المسلمين ، فأنزل الله — عز وجل فيهم : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . إن اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾ (٢)

فهذه بعض صور العداء التى ظهرت من فريق اليهود والذى يعد أخطر من الفريق السابق وهو فريق المشركين ، لأنه كما رأينا يعتمد على الخلط

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) آل عمران : آية ٦٥ - ٦٨ .

والتلبيس بما عندهم من علم سابق زيفوه وحرفوه .  
وإذا قلنا بخطورة اليهود وشدة عدائهم وسعة مكرهم ، فإن هناك فريقا  
ثالثا لا يقل عن ذلك خطورة وهو فريق المنافقين .

### سابعاً : النفاق :

وهذا الخط المتمثل فى النفاق والذى يعد صورة خطيرة من صور  
التحديات لم يظهر إلا بعد أن تكونت الدولة الإسلامية وظهرت قوتها ،  
وأصبح لها من الهيبة والخشية ما يجعل ضعاف النفوس يظهرن الإسلام ،  
ويبتنون الكفر ، ويعملون فى الخفاء بمحاربة الإسلام والمسلمين .

وعندما نقول : إن هذه الصورة خطيرة ، فلأنها تقع فى داخل  
المجتمع المسلم ، ولأنها لا تظهر بوضوح فتواجه من المسلمين مواجهة  
علنية ، إنما تعرف بآثارها السيئة التى تنشأ عن التدبير والكيد الخفى ، مع  
استعمال مظاهر الإسلام للتستر وراءها ، فقد يظهرن بمظهر الصلاح  
والتقوى كأن يقيموا مسجداً يستترون وراءه ليكيدوا ويفرقوا بين المسلمين .  
قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ  
وإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ وَلِيُحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى وَاللَّهُ  
يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ  
أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ (١)

فريق المنافقين — كما رأينا — أشد خطراً على المجتمع المسلم من  
الفريقين السابقين ، فريق المشركين وفريق أهل الكتاب من اليهود

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٧ ، ١٠٨ .

والنصارى ، فعداوة الفريقين ظاهرة ويستطيع المسلمون مواجهتها ، أما فريق المنافقين فيشبهه المرض الخبيث الذى يفتك بالجسم دون أن تظهر له أعراض تنبه المريض أو من حوله ، لاتخاذ ما يلزم من أساليب المواجهه .

والمنافقون على عهد رسول الله ﷺ — كانوا مجتهدين فى تشييط الهمم والعزائم عند عظام الأمور ، ولكنهم كشفوا وظهر أمرهم ، وعرف الله رسوله بسيماهم وبلحن قولهم ، بل أوقفه على أسمائهم ، ولكن بعد رسول الله ﷺ — يظل الخطر منهم شديدا ؛ لعدم معرفتهم إلا بعد وقوع آثارهم ، فإنهم ينطقون بالشهادتين ، ولا تستطيع أن تعمل معهم شيئا ماداموا كذلك ، وماداموا محسوبين فى عداد المسلمين ، ولكن إذا فعلوا فعلا يؤاخذون عليه وظهر ذلك الفعل ، فإنهم يعاقبون بالعقوبات الشرعية بعد أن تحدث الآثار ، من أجل هذا توعد الله المنافقين المخادعين للمسلمين بالعذاب الأليم ، حيث يكونون فى الدرك الأسفل من النار ، وأما فى الدنيا فإن الوقت لا يطول فى هذا الخداع حتى ينكشف أمرهم ويظهر خداعهم .

وكان النفاق . على عهد رسول الله يقف عقبة فى طريق الدعوة وانتشارها ، فضلا عن تشييط الهمم والعزائم . مر رسول الله ﷺ — بعدو الله ابن أبى هـ وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ — وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلأ قلبه حقداً وعداوة ، وأصر عليها ، ورأى أن رسول الله قد استلبه ملكا ، فلما أن رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على النفاق والحقد ، وحوله رجال من قومه وكان رسول الله ﷺ — راكبا فتندم — أى كره — أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ، ثم جلس قليلا ، فتلى القرآن ، ودعا إلى الله عز وجل ، وذكر بالله ، وحذر ، وبشر ، وأنذر ،

وهو زام — أى ساكت لا يتكلم — حتى إذا فرغ رسول الله — ﷺ — من  
مقالته قال :

يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا ، وإن كان حقاً فاجلس فى بيتك ،  
فمن جاءك له فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تفت به — أى لا تكثر عليه به ولا  
تردد عليه به — ولا تأته فى مجلسه بما يكره منه .<sup>(١)</sup>

فهذا موقف كبير المنافقين عبد الله بن أبى الذى يشتمز إذا ذكر الله  
وحده ﷻ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا  
ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﷻ .<sup>(٢)</sup>

كما أنه لا يطيق أن ينتشر الإسلام ويمتد ، بل يريد أن يحصره فى  
حدود بيت النبى — ﷺ — ، ولكن كان فى المجلس عبد الله بن رواحة فى  
رجال كانوا معه من المسلمين ، فقالوا لرسول الله — ﷺ : بلى فاعشنا به ،  
وإئتنا به فى مجالسنا ودورنا ويوتنا ، فهو والله مما نحب ومما أكرمنا الله به  
وهداننا له .<sup>(٣)</sup>

### ثامنا : القتال المسلح :

وهذه الصورة من صور التحديات القديمة التى تكاثفت فيها أيدى  
الأعداء من المشركين واليهود والمنافقين فى جيوش منظمة ، وجمعت العدد  
الكبير والعتاد الوفير الضخم لمحاولة الإجهاز على المسلمين ، حتى ينتهى  
أمر الإسلام ، بدءاً بمعركة بدر وما تلاها من معارك خاضها المسلمون فى

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٢ / ٢١٨ — ٢١٩ .

(٢) سورة الزمر : آية ٤٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ٢ / ٢١٨ / ٢١٩ .

مواجهة هؤلاء ، وتأتى خطورة هذا التحدى من حاجته إلى إعداد العدة من الرجال والعتاد بما يتلائم مع حجم هؤلاء الأعداء مجتمعين ، وحجم قوتهم ، وهذا كان يتطلب من المسلمين جهدا بدنيا وماليا كبيرا ، فى وقت استنزفت فيه أموالهم ، وسلبت فى أكثرها من أعدائهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان معهم على الرغم من قلة عددهم وعدتهم ، وهذا سنتينه فى حديثنا عن المواجهة .

### تاسعا : القوى الخارجية :

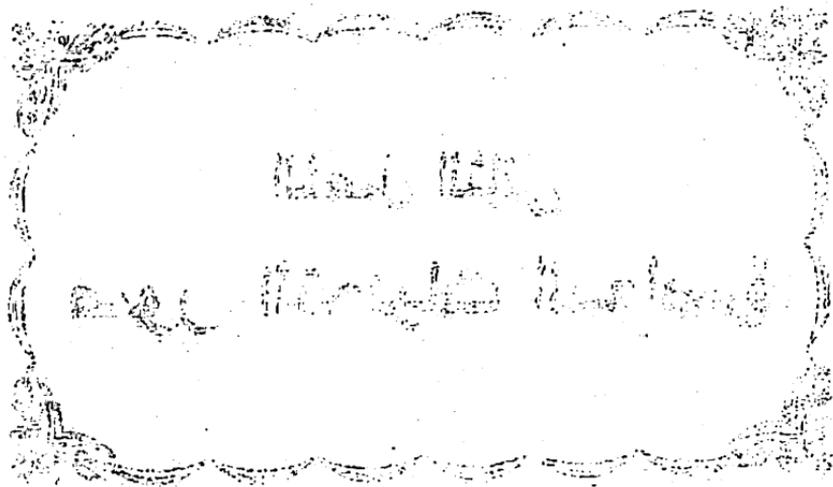
وهذه تمثل الصورة الأخيرة من مجموعة هذه التحديات القديمة ، وتمثل فى القوى الخارجية التى تحرشت بالمسلمين لما رأت دولتهم يشتد ساعدها ، ويقوى ظهرها ، فأرادت أن تجهز عليها وجهازت لذلك الجيوش للانقضاض على الدولة الجديدة .

تمثلت هذه القوى فى العصر الأول فى دولتى فارس والروم ومن شايع الدولتين على حدود الجزيرة العربية .





الفصل الثاني  
صور التحديات المعاصرة



## صور التحديات المعاصرة

إن التحديات القديمة في صورها السابقة لو واجهت جيلا لصدعته ، ولكن لم تجد الآثار التي أرادها أصحاب هذه التحديات سيئها إلى الإسلام والمسلمين في عصورهم الأولى ، وذلك يرجع إلى سببين :

### السبب الأول :

قوة هذا الدين ، وصحته ، وسلامته من القصور والاختلاف ، وتليته لحاجات البشر مجتمعة ولمقتضيات الحياة لأنه وحى الله وشرعه .

### السبب الثاني :

صدق المنتمين إليه ، واستجابتهم له ، وتذوقهم لحلاوته ، ويقينهم في صحته وسلامته ، وتضحيتهم في الدفاع عنه وتبليغه للعالمين .

ولو وجهت بعض هذه التحديات إلى مبدأ بشرى لنسفته نسفا ؛ لقوة التحديات وقوة أصحابها وشدة كيدهم وتعددتهم ، ولو كان ذلك لفترة زمنية يسيرة ، فما بالك باستمرار هذه التحديات واشتداد صورها على مر التاريخ حتى العصر الحديث ضد الإسلام وأهله .

وقبل أن نعرض امتداد الصور القديمة ووجود مايشبهها في الصورة ولكن يختلف عنها شدة وقوة وتنوعا ، نذكر مايلي :

أولا : ينبغي أن نفرق الآن بين مفهوم الإسلام في مصدره ، في كتاب الله تعالى وسنة رسوله — ﷺ — وبين المنتسبين إليه ، وذلك لوجود بعض الفصل بين مبادئ الإسلام وبين من ينتسب إلى الإسلام ، وكان هذا الفصل من الأسباب التي جعلت للتحديات المعاصرة أثرا كبيرا ، كما أتخذَ حال كثير من المسلمين والمجتمعات المسلمة حجة للطعن في الإسلام وفي مبادئه . من أجل هذا تؤكد على هذا الفصل بين المفاهيم وبين المنتسبين إليها ؛ حيث يحكم على الرجال بالمبادئ ، ولا يحكم بالرجال عليها . وانطلاقا من هذا نتعرف على وجود صور للتحديات في عالمنا المعاصر ، وكيف يكون الربط بين هذه الصور المعاصرة والصور القديمة .

ثانيا : إن التحديات المعاصرة — على الرغم من تشابهها في الشكل للتحديات القديمة ، تختلف عنها في حجمها ، وفي تعدد أساليبها ، وفي عمق خداعها وتسترها ، وفي قوة الإمكانيات المتاحة لها . وفي ضوء هذا نعرض لصور التحديات المعاصرة :

### أولا : الفتنة في الأبدان والأموال :

ف عندما ننظر في هذه الصورة وفي غيرها من الصور ينبغي أن نتنبه إلى أمر آخر ، نرى أسلوب الخداع والتمويه وإحكام الاستخفاء من القوى المعادية ، حتى ليخيل للإنسان أنه لا وجود لهذه الصور ، أو أن هذه الصور ليست موجهة للإسلام والمسلمين ، وإنما توجه إلى الناس جميعا . بالنظر إلى الفتنة البدنية نرى أنها تطورت وأخذت أشكالا جديدة وأساليب متعددة تلائم التقدم في الاختراعات ، ونشاهد هذه الصورة على مستويين .

**الأول :** مستوى الدول غير المسلمة ، والتي توجد فيها أقليات مسلمة ، فإن هذه الأقليات تواجه من مظاهر الفتنة البدنية ما يمس أجسادهم تعذيبا فى السجون والمعتقلات ، ووصولاً إلى حد الإبادة الفردية والجماعية ، تشاهد ذلك فيما يفعله الروس فى روسيا ، وفى الفلبين ، وفى غيرها .

**المستوى الثانى :** فى داخل المجتمعات المسلمة التى تحكم بنظم معادية للإسلام ، فإن المسلمين فيها يتعرضون كذلك للفتنة البدنية تعذيبا وتشريدا وقتلا فرديا وجماعيا ، وتأتى هذه الفتنة البدنية مغلفة من هذه النظم المعادية بغلاف خادع ، تلبسها على الناس ، حتى تبرر هذه الفتن .

وأما الفتنة الاقتصادية فتأخذ كذلك أشكالا على المستويين ، فأما القوى المعادية للإسلام والمسلمين فيتبعون الأساليب الآتية والتى تمثل تحديا صارخا .

أ — الحرب الاقتصادية المتمثلة فى حرمان الشعوب المسلمة من حاجاتها من السلع الأساسية كالحبوب وغيرها ولو ألقيت فى البحر .

ب — محاولة الهيمنة على المواد الخام واستنزافها من الدول المسلمة ، سواء كانت معدنية أم زراعية ، بأسعار منخفضة ، وإعادتها إليها مرة أخرى فى صورة سلع صناعية بأثمان مرتفعة .

ج — الظهور بمظهر الرفق الخادع فى تقديم قروض ضئيلة تتبعها فوائد باهظة ، لإرهاق كاهل الدول المسلمة ، ووقوعها فى دائرة التبعية لهذه الدول المقرضة ، والتى تملى عليها شروطها .

د — محاربة أى مظهر من مظاهر الاكتفاء الذاتى ، وذلك عن طريق شراء العقول المفكرة ، والتي يتوقع منها تقديم نهضة اقتصادية لهذه الدول ، وذلك مانسميه بهجرة العقول أو التخلص منها ، ولو قتلا ، كما تكون المحاربة لأى مظهر من مظاهر التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية لتحقيق هذا الاكتفاء ، ووصم كل تكتل بأغراض تخيف هذه الدول وتعوق طريق هذا التكامل .

هـ — وتأتى المحاربة كذلك لأى عمل من شأنه أن يحقق تقدما ملحوظا فى المجال الاقتصادى ، وليس ببعيد مانشاهده فى موقفين متجاورين لمسألة واحدة وهى إقامة المفاعل النووى فى كل من باكستان والهند ، وكيف يعوق الأول ، ويسر السبيل للثانى ، وليس ببعيد عن أبصارنا ما حدث مع المفاعل النووى فى العراق .

و — ومن أساليب الفتنة الاقتصادية المعاصرة : الضغوط المستمرة ، والمقاطعة ، والحرمان للنظام الذى يظهر منه صدق التوجه إلى تطبيق الإسلام ، كما حدث قريبا مع السودان وغيرها ، حيث تقاوم النظم الجادة بإيقاعها فى مشاكل اقتصادية تشغلها .

من هذه الأساليب نستطيع القول إن الصورة القديمة قد وجدت فى مجتمعنا المعاصر بصور أشد وأحدثت آثارا أقوى ، لانتخف إلا بصدق المواجهة .

### ثانيا : الاستشراق .:

ويعد الاستشراق من أخطر صور التحديات المعاصرة ؛ لما ينشأ عنه

من صور أخرى ، ونعني بالاستشراق الدراسات التي قام بها فريق من الباحثين  
لدراسة مايتعلق بالشرق عموما ، وبالشرق الإسلامي بصفة خاصة ، من تراث  
وثقافة ، وكذلك ما يتصل بواقع المجتمعات المسلمة وأحوالها .  
وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الاستشراق بدأ قديما منذ لقاء المسلمين  
بالنصارى فى غزوة مؤتة ، وكذلك فى غزوة تبوك ، حيث وقف المسلمون  
والنصارى موقف خصومة سياسية كما ذكر محمد حسين هيكل<sup>(١)</sup> « ولكن  
هذا فيه إغراق فى البعد الزمنى » .

وبعض الباحثين يجعل البداية فى الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك  
السياسى والدينى بين الإسلام والنصرانية الغربية فى فلسطين ، والبعض الآخر  
يجعلها منذ الحروب الدنوية التى نشبت بين المسلمين فى الأندلس  
ونصارها ، وبعضهم يرى أنه بدأ بعد سقوط القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ) ،  
ومن ثم وصول العثمانيين إلى أسوار فيينا ، فنشأ لحاجة الغرب للرد على  
الإسلام أولا ، ولمعرفة أسباب هذه القوة الدافعة لأبنائه ثانيا ، فإن الإسلام —  
فى نظرهم — وقف سورا مانعا من انتشار النصرانية .

ومن الباحثين من يرى أنه بدأ مع الاستعمار الأوروبى لبعض البلدان  
العربية والإسلامية فى الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وجنوب شرقى آسيا ،  
وحاجة هؤلاء إلى فهم عادات هذه الشعوب التى استعمروها وتقاليدها ؛  
لتوطيد سلطانهم ، وتثبيت سيطرتهم الاقتصادية عليها .<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظر : الاستشراق ، د . قاسم السامرائى : ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق .

وعلى كل حال : فهذه اجتهادات فى تحديد بداية هذه الصورة الخطيرة والمؤثرة على العالم الإسلامى ، ولا شك أنها تمتد بجذورها إلى الماضى . على أنه لا نستطيع أن نضع أيدينا على كتابات استشراقية قديمة ، تعطى لنا ملامح هذه الصورة ، إلا بعد الاحتكاك الأول بين أوروبا والعالم الإسلامى ، وبعد وقوف أوروبا على النهضة الإسلامىة فى شتى الميادين ، والوقوف على عوامل القوة فيهم فى موجة الحروب الصليبية التى انحسرت فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، أى فى أواخر القرن السابع الهجرى ؛ <sup>(١)</sup> وذلك لتحطيم عامل القوة فى المسلمين وسهولة السيطرة عليهم ، لأن أعداء الإسلام أدركوا هذا قديما وحديثا ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ..... الآية ﴾ <sup>(٢)</sup>

ففى هذا إدراك من الكافرين لمدى تأثير القرآن على المسلمين ، فإذا أرادوا التغلب عليهم فلا سبيل إلى ذلك إلا بأن يحولوا بينهم وبين هذا القرآن ، فلا يسمعوا له ، أو أن يحدثوا لغوا مع مبادئ هذا القرآن ، حتى لا تؤثر فيهم .

ويصرح نابليون فى كتابه حملات مصر وسوريا بأثر الإسلام فى المسلمين ، فيقول : إن أهم العقبات أمام الاحتلال الفرنسى لمصر هى : أن أية قوة عسكرية فرنسية يجب أن تواجه حروبا ثلاثة ، أولها : ضد انجلترا ،

(١) انظر : الغزو الفكرى والبيارات المعادية للإسلام — د . عبد الستار السعيد ص ٥٨ .

(٢) سورة فصلت : آية ٢٦ .

والثانية: ضد السلطان العثماني، والثالثة وهي أصعبها الحروب ضد الإسلام. (١)

والإشارة إلى وجهات نظر الباحثين في تحديد بداية الاستشراق تفيد أن الاستشراق كان نتيجة لعوامل وأهداف سعى إليها خصوم الإسلام من المستعمرين ومن المنصرين، حيث وجدنا للفايكان — مثلا — وما تبعه من كنائس في أنحاء أوروبا اهتماما بتعليم العربية لرهبان المنصرين، وفرضت على الملوك والأمراء والبلديات تأسيس مدارس للغات الشرقية في عواصم بلدانهم، واستجابوا لذلك؛ تحقيقا للهدف الذي يمكن أن نجعله متدرجا من دراسة استشراقية متخصصة، تقدم زادا للمنصر؛ ليقوم المنصر مع المستشرق بالتمهيد للمستعمر المسلح، وصولا في النهاية إلى الهيمنة الاقتصادية على دول الشرق والعالم الإسلامي.

ولذلك توزعت جهود المستشرقين على التخصصات الآتية في العالم الإسلامي:—

- أ — دراسة القرآن الكريم وعلومه .
- ب — دراسة الحديث الشريف وعلومه .
- ج — دراسة الفقه والأحكام الشرعية .
- د — دراسة السيرة والتاريخ .
- هـ — دراسة اللغة العربية وآدابها .
- و — دراسة واقع المجتمعات المسلمة اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا،

---

(١) انظر: الاستشراق د. قاسم السامرائي: ص ٥٢ .

وكان لهذا التخصص دور في وقوفهم الدقيق على فروع العلوم الإسلامية ،  
ومعرفة حالة المجتمعات المسلمة وإخراج هذه المعرفة في صورة دراسات  
استشرافية ، وقف منها الباحثون موقفين :

**الموقف الأول :** موقف من أعجب إعجابا شديدا بهذه الآثار العلمية ، من  
تحقيق لكتب التراث ، وحسن إخراج لها ، وحسن تصنيف لمادتها ، فشغل  
لسانه وقلمه بالذم المطلق .

**والفريق الآخر :** نظر إلى الأغراض التي قام من أجلها الاستشراق ،  
وهي : خدمة التنصير ، وخدمة الاستعمار ، ومحاولة الهيمنة الاقتصادية ،  
وربط الأعمال بنواياها ، فشغل لسانه وقلمه بالذم المطلق .

والإطلاق في الحالين فيه تجاوز ، فلا نستطيع أن ننكر جهود المستشرقين في  
هذا الإخراج العلمي والميسر لكتب التراث ، وكذلك لانستطيع أن نتغاضى  
عن السلبات المدمرة التي وجدت في آثارهم ، ولهذا لا يصلح المدح بإطلاق ،  
ولا الذم بإطلاق ، وإنما يكون حكمنا موضوعيا .

فبالنظر إلى المستشرقين وآثارهم نستطيع أن نصنفهم التصنيف الآتي :

١ — طائفة مهتدية ، درست علوم الإسلام دراسة دقيقة مستوعبة ، وفتحت  
قلبا ، وشرح الله صدرها للإسلام فأسلمت ، وكان من إنتاجها كتابات قيمة  
استفادت من القراءات الإسلامية . ومن أمثال هؤلاء الأستاذ محمد أسد ، ومن  
كتاباته التي أفاد منها كثير من العلماء المسلمين المعاصرين ( الإسلام في  
مفترق الطرق ) ، وكتاب ( الطريق إلى مكة ) ، وكتاب ( منهاج الحكم في  
الإسلام ) ، ومن هؤلاء كذلك المهتدية مريم جميلة التي أحسنت في  
كتاباتها عن الإسلام ، ومنها كتاب الإسلام بين النظرية والتطبيق .

٢ — طائفة منصفة ، اكتفت بالوصف الموضوعي لحقائق الإسلام وما وجدته من المؤلفات فيه ، فلم تغير ولم تحرف ، ولكنها لم تفتح قلبها لتتفع بما درست .

٣ — طائفة مغرضة وهى التى ظلت فى فلك التنصير والاستعمار ، وعرفت الحق ولكن حرفته وشوخته ، وهذه هى الطائفة الخبيثة التى تمثل التحدى ، الذى تنبثق منه صور أخرى من التحديات التى أثارها . ومن هذه الصور :

أ — محاولة تشويه شخصية النبى ﷺ .

ب — الطعن فى مضمون الدعوة ، وذلك بإثارة دعوى بشرية القرآن .

ج — الطعن فى السنة المطهرة .

د — إحداث اللغو بالتأثير على المسموعات والمرثيات .

هـ — استعمال قضايا المرأة استعمالا سيئا .

و — نقل تجربة العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية .

ووصولاً إلى هذه الأهداف استعملوا الأساليب الآتية :

أ — استعمال الروايات الموضوعية .

ب — الاعتماد على المصادر غير الأصيلة .

ج — التأويل الفاسد للمواقف والنصوص .

د — معرفة الحقائق وعرضها معكوسة .

وساعد فى تخليطهم وتليسهم جهلهم بأساليب اللغة العربية واستعمالاتها ، وهذه الطائفة تلون أبحاثها باللون المناسب ، وتغير من خططها بما يتلاءم مع المتغيرات ، فلا بأس أن تعرض لموضوع معين من

موضوعات الدراسات الإسلامية ، فتناوله بالمدح والثناء ، ومن خلال هذا المدح تضع ماتشاء من السموم بعد أن أحدثت تخديرا للقارئ أو السامع بالثناء السابق ، وهذا ما جعل بعض المفكرين من أمثال مالك بن نبي رحمه الله — يصنف المستشرقين في إنتاجهم إلى صنفين مرفوضين :

( صنف مادح ، وصنف مفند ) ويرى أن الصنف المادح والقادح يحدثان أثرا سلبيا في المجتمعات المسلمة ، وذلك بتخطيط وتدبير مسبق .

فأما المادحون : فيوجهون مدحهم إلى التراث وإلى أمجاد الإسلام الماضية لصرف المسلمين عن حاضرهم ومستقبلهم ، إذا وجدوا منهم التفاتة جادة إلى حل مشاكلهم ، ويضرب لذلك مثلا بمؤتمر عقد في فرنسا لمعالجة بعض مشاكل العمال الجزائريين ، وتنبه المخططون إلى هذا ، فوجهوا الدعوة إلى سيدة ألمانية مقربة لتتناول في المؤتمر الذي سيبحث هذه المشاكل قضية مشرقة ، فيها مدح لأمجاد الماضي ، فعرضت لموضوع ( شمس الله تشرق على الغرب ) ؛ لكي تحول الأنظار بهذا المدح عن معالجة واقعها ومشاكلها ولتبقى دائما في حالة التبعية . (١)

فالمادحون في نظره لا يختلفون عن القادحين للإسلام والمسلمين في إحداث الأثر نفسه ؛ لأن مدحهم مبني على خطة انطلقت في أساسها لمحاربة الإسلام والمسلمين ، وإبعادهم عن المناخ الذي ينطلقون منه لتشديد حضارة جادة ، تجعلهم في مقدمة القافلة البشرية .

---

(١) انظر : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث لمالك بن نبي :

وعلى كل حال فإن دراستنا ستكون مع هذه الطائفة الثالثة التي تمثل  
أخطر صور التحدى فى القضايا التي أثارها ، ومنها : —

محاولة تشويه شخصية النبي ﷺ .

وهذه الصورة تشبه محاولة المشركين — قديما — فى اختلاف  
صفات لا وجود لها فى شخصية النبي ﷺ ولا تتفق مع ما عرف عنه ﷺ  
معرفة يقينية .

فهذا مارجليوت وهو من أحيث المستشرقين وأشدهم بغضا لرسول  
الله — ﷺ — يزعم أن محمدا كان يمارس الشعوذة ، وكانت له مجالس  
سرية أشبه بمحافل الماسونية <sup>(١)</sup> فمن أين استقى هذا المستشرق زعمه ؟

إن زعمه هذا من خيال حاقد خبيث اشتد ضغنه على الإسلام ورسوله ،  
ولم يكن هذا الضغن لدى فرد واحد ، بل شمل الفئة الثالثة من المستشرقين ،  
على اختلاف فى درجاته ، وفى أساليب التعبير عنه .

فهذا لامانس اليسوعى يخلق بدوره صفة أخرى ، تفضح أساليبهم ،  
وتكشف عن بغضهم الذى بدا من أفواههم وفى أقلامهم ، ومانخفى صدورهم  
أكبر .

فينسب إلى رسول الله — ﷺ — الإكثار من الطعام والشراب  
والشره ، فهل هذا يتطابق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من الرويات

---

(١) انظر : حاضر العالم الإسلامى لشكيب أرسلان : ( ١ / ٣٥ ) .

الصحيحة الموثقة التي أكدت في تضافر إيثار رسول الله ﷺ على نفسه ،  
وتقديمه الطعام والمال إلى الآخرين ، ولا يترك لنفسه ولا لبيته شيئا ، وهو  
يستطيع أن يكون ذا ثراء عريض — فهو إمام المسلمين وقتوتهم — ، ولكنه  
يعطى من نفسه القدوة للغنى كيف يعطى ويؤثر ؟ وللفقير كيف يصبر  
ويتعفف ويسعى ؟ إنه وسع المسلمين خلقا وفضلا .

فكيف يوصف بالشره وكثرة الطعام ؟ وأم المؤمنين عائشة — رضى  
الله عنها — تصف الحال مع الطعام فتقول : كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه  
نارا ، إنما هو التمر والماء ، إلا أن يؤتى باللحيم (١) .

وفى رواية قالت : « ماشع آل محمد من خبز البر ثلاثا حتى مضى  
لسيله » ، وفى أخرى قالت « ماشع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام  
ثلاث ليل تباعا حتى قبض » .

وفى أخرى : ماشع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض  
رسول الله ﷺ .

وفى أخرى قالت : ما أكل آل محمد أكلتين فى يوم واحد ، إلا  
وإحدهما تمر ، وفى أخرى كانت تقول لعروة : والله يا ابن أختي إن كنا  
لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال — ثلاثة أهلة فى شهرين — وما أوقد  
فى آيات رسول الله ﷺ نار .

قال : قلت ياخالة : فما كان يعيشكم ؟ قالت الأسودان : التمر والماء  
إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح (٢) فكانوا

(١) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى . انظر : جامع الأصول : ( ٤ / ٦٨٢ ) .

(٢) المنائح : جمع منيحة ، وهى الناقة يعبرها صاحبها إنسانا ليشرب لبنها ويعيدها .

يرسلون إلى رسول الله — ﷺ — من ألبانها فيسقيننا .

فهذه روايات البخارى ومسلم ، ولمسلم أيضا قالت : لقد مات رسول الله ﷺ — وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين <sup>(١)</sup> فهل يصح أن يوصف رسول الله — مع هذه الروايات ومع تلك الشهادة — بكلام لا مانس ؟

إن رسول الله — ﷺ — كان يوصى بالاعتدال فى الطعام والشراب لأن المعدة بيت الداء ، وكان لا يحرم على نفسه الطيبات ، ولكنه يؤثر غيره على نفسه ، ولم يرض أن يحيى حياة الترف والتخمة ، فكيف يوصف بعكس ما كان عليه ؟ لقد خير زوجاته — رضى الله عنهن — لما طلبن التوسعة بين الرضى بالعيش معه على هذه الحالة أو أن يسرحن سراحا جميلا . فاخترن — جميعا — الله ورسوله والدار الآخرة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم سراحا جميلا ۝ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ <sup>(٢)</sup> فهل يوصف من كان على ذلك بأنه يتبع شهوات ، سواء كانت فى الطعام أو غيره — كما زعم لامانس وغيره ؟

إن هؤلاء لم يفهموا كيف يكون الخلق فى أعلى درجاته فى نظام الإسلام الذى تأتى مرتبة رسول الله ﷺ منه الأولى ، ولكى يدرك هؤلاء كيف كان رسول الله ﷺ يجوع ليشبع غيره ؟ وكيف كان يشغله الجائع ، والمحتاج حتى يقضى حاجته ، أعرض هذا النص الطويل الذى يحكيه الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه ، فيقول فى قسم : والله الذى لا إله

(١) انظر : جامع الأصول : (٤ / ٦٨٣ )

(٢) الأحزاب : ٢٨ / ٢٩ .

إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد  
الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون  
منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ؟ ماسألته إلا ليستبغنى ، فمر  
فلم يفعل ، ثم مر عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ؟ ما سألته إلا  
ليستبغنى ، فمر فلم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه ، فتبسم حين رآنى  
وعرف ما فى وجهى ، وما فى نفسى ، ثم قال : يا أبا هر ، قلت لبيك يا رسول  
الله ، قال : الحق ، ومضى ، فاتبعته ، فدخل ، فاستأذن ، فأذن لى ، فدخل  
فوجد لبنا فى قدح ، فقال : من أين هذا اللبى ؟ قالوا : أهدها لك فلان ، أو  
فلانة ، قال أبا هر : قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق إلى أهل الصفة  
فادعهم لى — قال وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال  
ولا إلى أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته  
هدية أرسل إليهم وأصاب منهم ، وأشركهم فيها ، فسأنى ذلك ، وقلت : وما  
هذا اللبى فى أهل الصفة ، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبى شربة أتقوى  
بها ، فإذا جاؤوا أمرنى ، فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبى ؟  
ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا واستأذنوا  
فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، فقال : يا أبا هر ، قلت لبيك  
يا رسول الله ، قال : خذ فأعطيهم ، قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه  
الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح ، فأعطيه الآخر فيشرب حتى  
يروى ، ثم يرد على القدح ، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على  
القدح ، حتى انتهيت إلى النبى — صلى الله عليه — وقد روى القوم كلهم ، فأخذ  
القدح ، فوضعه على يده ، فنظر إلي ، فتبسم ، يا أبا هر ، قلت : لبيك  
يا رسول الله ، قال : بقيت أنا وأنت قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : فاقعد  
فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول :

اشرب ، حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال : فأرني فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . (١)

فهذا حال رسول الله ﷺ — يأتيه الشيء إن كان صدقة فهي لفقراء المسلمين ولا يأخذ منها شيئا لنفسه ولا لأهل بيته ، وإن كانت هدية فكر في المسلمين أولا ، وأرسل إلى فقرائهم ، وأشركهم فيها ، وتكون هذه المعجزة في بركة القليل من اللبن ، ليكفي أهل الصفة ، ويكون هذا المشهد الدال على خلقه — ﷺ — في شرب الفضله فكيف يوصف بالشره والإكثار من الطعام والشراب — كما صنع لامانس — وهو الذي علم الاعتدال في الأمر كله

ويسرى هذا في الصفات المختلفة كلها ، والتي حاولوا بها التشويه لشخصية النبي ﷺ — اكتفيت بالرد على هذه الصفة ، ويطول البحث إذا تتبعنا كل هذا ، فنعالجه إن شاء الله في مواضع أخرى .

وحسبنا أن نقف من بيان هذا — هنا — على الهوى والغرض الخبيث لدى المستشرقين في محاولات التشويه ، ويصرح بذلك دينه فيذكر : إن الأب لا مانس اليسوعي صاح متأوها أول كتابه عن محمد من كون القرآن جاء وصرف العرب عن حلاوة الإنجيل التي كانوا بدأوا ينوقونها ، ولم يقدر أن يغفر للقرآن ذنب إدخاله في الإسلام ثلاثمائة مليون نسمة بمرأى ومسمع من المبشرين المسيحيين ؛ فلذلك عزم لامانس أن يشنها على الإسلام غارة شعواء ، ويحمل عليه حملة صليبية يكون هو بطرسها الناسك على أمل أن

---

(١) أخرجه البخارى . وانظر جامع الأصول : ١١ / ٣٧٠ — ٣٦١ .

يصرع الإسلام<sup>(١)</sup> ويعلق دينه على هذا الموقف بقوله : إلا أن حالة عقلية كهذه لاتتلاءم مع بحث علمي مبني على مجرد محض من الهوى وتنزه عن البغض كما يذكر إميل درمنجهم .

إنه لما نشبت الحروب مدة قرون متطولة بين المسلمين والمسيحيين ازداد بينهم سوء التفاهم ، واشتدت البغضاء كثيرا ، ومما يجب أن نعترف به أن أكثر البغضاء كان من جهة المسيحيين ، فقد كان البيزنطيون يحتقرون الإسلام بلا تأمل ولا بحث ، كما يذكر أنهم لم يحملوا أنفسهم على درس عقيدة الإسلام ؛ وإنما حملوا عليه بالطعن والقذف بلا فحص ، وأخذوا يصورون محمد بصور غريبة جداً ، ويشوهون من هذه الصورة ما أمكنهم . يقول الأمير شكيب أرسلان وذكر هنا المطاعن التي كانوا يوجهونها إلى النبي ﷺ — مما أينا نقله نظرا لسخفه وسفاهته وسقوطه من نفسه ، حتى أن درمنجهم نفسه هزأ كثيرا بهذه المطاعن ، على الرغم من كونه مسيحيا معتقدا .

ويتابع درمنجهم قوله : فالتناقض الذي بين الملتين كانت قواعده الأساسية أخبارا واهية لا أساس لها من الصحة ، مثل أن محمدا كان صنما من ذهب ، وأن مساجد المسلمين هي هياكل ملأى بالتماثيل .... إلى أن يقول : ثم إن قصصا يسمى قصص محمد ورد فيه مايفيد أن الإسلام يجيز اشتراك جملة رجال في زوجة واحدة .<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظر : حاضر العالم الإسلامي : ١ / ٣٦ .

(٢) انظر : حاضر العالم الإسلامي : ١ / ٨٤ .

ولم يكتف المستشرقون بمحاولة التشويه لشخصية النبي — ﷺ — بل امتد ذلك إلى أئمة المسلمين من بعده .

### الطعن في مضمون الدعوة :

ولما كانت محاولة التشويه لشخصية النبي — ﷺ — فاشلة ، وخاصة في المجتمعات المسلمة ؛ لسناجة المطاعن وبعدها عن حقيقة الرسول الكريم ، سلك المستشرقون سبيل الطعن وإثارة الشبهات حول مضمون الدعوة ، مستغلين جهالة الكثير من المسلمين بحقائق دينهم ، فكان هذا الطعن موجهاً إلى العالم الإسلامي عن طريق تلاميذ المستشرقين من المستغربين ، وموجهاً كذلك للعالم الأوربي وغيره ، لتضليله وتفكيره من التفكير في شأن الإسلام .

وبدأت هذه المطاعن بالقرآن الكريم أساس الإسلام وأصله الأول ، ثم بالأساس الثاني للإسلام ، والمتمثل في السنة النبوية المطهرة ، وتشمل كذلك الأحكام الفقهية المستمدة من الكتاب والسنة ، وسيرة النبي — ﷺ — ، والتاريخ الإسلامي ، واللغة العربية وآدابها ، ولم تنس هذه الدراسات واقع المجتمعات المعاصرة واتخاذها أداة قوية للطعن في الإسلام .

أ — فأما مطاعنهم وشبهاتهم حول القرآن الكريم ، فهي إمتداد لكلام المشركين السابق في دعوى بشرية القرآن الكريم ، والتي رد عليها رداً مقنعاً يبطل هذه الدعوى ، كما كان إعجاز القرآن الكريم البياني والموضوعي والعلمي لساناً ناطقاً بأن هذا كلام الله وليس من كلام أحد من خلقه ، إلا أن المستشرقين أخلوا هذه الدعوى ، وألبسوها ثوباً جديداً ، أرادوا مها تجريد القرآن من كونه كلام الله ، ونسبته إلى محمد ؛ باعتبار ذلك خطوة أولى في

سبيل المطاعن ، واعتبار التوراة والإنجيل مصدرًا للقرآن الكريم ، وأن الرسول أخذ ذلك بطريق المخالطة .

وغياب عن المستشرقين أن الفترة المكية لم يتحقق فيها هذا الاختلاط المزعوم ، فما المصدر إذن ؟ فضلا عن تأكيد القرآن الكريم في هذه الفترة المكية على جوانب العقيدة ، وتصحيح أخطاء اليهود والنصارى في العقيدة والأخبار السابقة ، ثم إن اليهود أخفوا أشياء ، وحرفوا في أشياء ، وحذفوا أشياء ، وبين الله لرسوله كل هذا ، فكيف يكون اليهود والنصارى بتحريفهم وتزييفهم مصدرًا للقرآن الكريم .

ثم إنه لم يؤثر على أحد من قدامى اليهود والنصارى والذين عاصروا نزول الوحي ما يفيد بدعوى . الأخذ عنهم .

وقد أضاف بعض الباحثين الغربيين إضافة جديدة تبطل هذا الزعم وتظهر المخازى التي وقع فيها اليهود والنصارى بتحريفهم للتوراة والإنجيل ، ويثبت في القوت نفسه أن هذا القرآن كلام الله وحده ، فقام بعرض الحقائق العلمية التي انتهت إليها البشرية في عالمنا المعاصر على التوراة التي في أيدي اليهود بعد تحريفها والإنجيل بعد تحريفه والقرآن الكريم ، واستنتج من هذا العرض التوافق التام بين حقائق القرآن الكريم والحقائق العلمية ، والاختلاف بين هذه الحقائق وما جاء في التوراة والإنجيل المحرفين (١)

ولو كان مافى التوراة والإنجيل من هذه المعلومات وحيًا من عند الله لاستحال التناقض ، ولكن هذا الاختلاف كان نتيجة التغيير والتبديل والإضافة

---

(١) من نماذج هذه الدراسة ما كتبه الأستاذ « موريس بوكاي » على مافيه من مأخذ .

البشرية التي تجعلنا نقول : إن ما بين أيديهم لا يمثل وحياً ؛ بل يمثل فكراً بشرياً ، قد يمثل فترة زمنية ، ولكنه يتغير ويتبدل ، ومن هنا يكون الاختلاف والتعارض ، وأما القرآن الكريم فكما قال فيه الله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (١)

ولقد اشتمل القرآن الكريم في وجه إعجازه العلمي على كثير من الإشارات العلمية التي تنطق بأن هذا كلام الله وحده ولا دخل فيه لأحد من خلقه ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ (٢)

ومن هذه الإشارات : ما جاء في قوله تعالى في تشبيهه عمل الكافرين بالظلمات الشديدة : ﴿ ..... أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ (٣) فالتعبير القرآني الكريم عن الظلمات — هنا تعبیر يلفت النظر إلى شدة الظلمة الناشئة من بحر عميق جداً ، فوقه موجة مرتفعة جداً ، ارتفاع الجبل الكبير ، فوقها موجة أخرى مرتفعة تصل إلى مستوى السحاب ، فتتكون هذه الظلمة التي لا يقترب الإنسان من رؤية يده إذا أخرجها في مثل هذا الوسط . وقف أستاذ في علوم البحار أمام هذه الصورة ، وسأل سؤالا قال فيه هل ركب محمد بن عبد الله البحر ؟ قيل له : لا . قال : إن هذه الصورة لا يستطيع تصويرها إلا من ركب أعماق

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) الحاقة : ٤٤ — ٤٧ .

(٣) النور : ٤٠ .

المحيطات ، فأتى لمن لم يركب البحر أن يصور مثل هذه الصورة .

أشهد أن هذا الكلام ليس كلام محمد كما يزعم الزاعمون ، وإنما هو كلام الله الخالق — سبحانه — وكانت الآية الكريمة مفتاح إسلام هذا الرجل .

وفي آية كريمة أخرى يقول الله — تعالى فيها : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ه ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ <sup>(١)</sup> . فهذه الأطوار من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى كسوة العظام باللحم لم يقف على حقيقتها العلماء إلا في العصر الحديث بعد الاكتشافات العلمية الطبية ، فمن الذى علم محمدا هذا ؟

إنه كلام الله وليس لرسول الله — ﷺ — فيه إلا التبليغ عن ربه سبحانه ، وآية كريمة أخرى تصف حالة من يرد الله أن يضلّه ، فيقول جل شأنه ﴿ ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فالصورة التى يتركها الإنسان وقت نزول القرآن الكريم أن الإنسان إذا ارتقى مكانا مرتفعا انشرح صدره لطيب الهواء واعتدال الجو ، فكيف إذا صعد فى السماء يضيق صدره ويختنق .

إن الإنسان لم يعرف إلا حديثا أن الأكسجين يقل كلما ارتفعنا فى

(١) المؤمنون : ١٢ — ١٤ .

(٢) الأنعام : ١٢٥ .

طبقات الجو العليا ، فكما ارتفع ضاق صدره واختنق إن لم يزود  
بالأكسجين اللازم ، فمن الذى علم رسول الله ذلك ؟ إنه كلام الله وليس  
كلام محمد .

وفى آية كريمة أخرى يحكى القرآن الكريم ما يحدث للمعذبين فى  
النار يوم القيامة ، فيقول الله تعالى : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا  
غيرها لينوقوا العذاب ﴾ <sup>(١)</sup> فلماذا عبر بالجلد هنا فى موضع الإحساس ،  
وأنه ينضج الجلد ثم يبدل بجلد آخر ، ليتجدد الحس بالعذاب ؟  
فلماذا تم الربط بين الحس والجلد ، ولم يعرف ذلك إلا حديثا ؟

وفى آية كريمة أخرى يذكر لنا القرآن الكريم آية من آيات الله الدالة  
على كمال قدرته فى سياق الحديث عن البعث : ﴿ بلى قادرين على أن  
نسوى بنانه ﴾ <sup>(٢)</sup>  
فالعودة بعد الموت يقينية لاشك فيها ، والله قادر على أن يعيد الإنسان بحالته  
التي لايتشابه فيها مع غيره فى بنانه وبصماته ، فالبصمة دالة على شخصية  
الفرد ؛ لأنها لا تتشابه مع غيره ، فمن الذى علم محمداً هذا ، ولم يعرف إلا  
حديثا ؟

وهكذا يطول بنا الحديث إذا عرضنا لهذه الإشارات الماثورة فى كتاب  
الله تعالى — والتي تنطق بقوة لنقول : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) النساء : ٥٦ .

(٢) القيامة : ٤ .

(٣) البقرة : ٢ .

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ (١) هذا فضلاً عن الإعجاز الموضوعي ، والذي يتضمن نظاماً متكاملة للمجتمعات البشرية سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وخلقية ، وفي وقت كان العالم يسير فيه على أعراف وعادات بسيطة ساذجة .

وكذلك الإعجاز البياني الذي يقدره أهل اللسان العربي الفصيح ، ومن درس هذا اللسان وتلوقه ، وعلى الرغم من قوة الأدلة ووضوحها ، فإن بعض المستشرقين قد نسب القرآن إلى رسول الله — ﷺ — وأنه أخذه عن اليهود والنصارى ، فيقول جولد تسيهر « في كتابه عقيدة الإسلام وشريعته » « إن دعوة النبي العربي كان فيها نخبة مبادئ دينية اعتقدها هو بالاختلاط باليهود والنصارى وغيرهم ، واقتنع بها ورآها جديرة بإحياء الشعور الديني بين قومه ، ولقد كانت هذه المبادئ المقتبسة من الأديان الأخرى في نظره ضرورية لتثبيت سير الإنسان بحسب الإرادة الإلهية ، فتلقاها هو بصدق وأمانة وبمقتضى إلهام أيدته فيه المؤثرات الخارجية ، وجاءه وحيا إليها كان هو مقتنعا بكونه وحيا إليها نازلا على لسانه » .

ولقد عجبت من قول الأمير شكيب أرسلان تعليقا على قول « جولد تسيهر » « إن الإسلام فيه نخبة مبادئ أصلهما من اليهودية والمسيحية فليس فيه شيء يدعو إلى الإنكار ، وما جاء القرآن إلا مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ، والإسلام إنما هو ملة إبراهيم حنيفا ، وقد جاء محمد بتأييد تلك الملة ، لا بنقضها كما لا يخفى » ولعل هذا الكلام من الأمير شكيب جاء تأويلا لكلام لا يحتمل هذا التأويل نتيجة إعجابه بهذا المستشرق

---

(١) الزمر : ١ ، ٢ .

وبكتابه ، حيث يقول في وصفه : « إنه سيد المدققين ، وحجة المستشرقين » ويصف كتابه بأنه جليل ، ونسى الأمير شكيب أن كثيرا من المستشرقين اليوم ما يزالون يرددون أن الإسلام بقرآنه وحديثه ، بل وحضارته ، مستمد من اليهودية والنصرانية ، فالدعوة هنا لانراها تختلف كثيرا عن الصورة القديمة التي قال بها المشركون .

ب — الطعن في السنة : ولم يقتصر الطعن من المستشرقين على القرآن وحده ، بل امتد كلامهم إلى السنة ليشككوا فيها ، وفي صحتها ، وفي نسبتها إلى الرسول — ﷺ — ، ويذكروا أنها من اختلاق الرواة من بعده ، ثم سلخوا مسلكا أبحث في تناول شخصيات الرواة بالتشويه والتجريح ، حتى إذا سقطت شخصياتهم سقطت بالتالي مروياتهم . ولا يخفى ما في هذه الصورة من محاولة الهدم للمصدر الثاني من مصادر الإسلام ، الذي شهد جهودا علمية كبيرة من علماء الحديث في توثيق السنة سندا ومتنا (١).

جـ ومن مجالات التشويه كذلك : الأحكام الفقهية ، حيث حاول بعضهم في أول الأمر أن ينسب التشريع الإسلامي والأحكام الفقهية إلى مصادر رومانية ، ولكن لم تجد هذه الدعوى رواجاً ، إذ وقف لها علماء القانون الغربيون أنفسهم ، لإبراز التناقض الذي بين القانون الروماني وما جاء به الإسلام ، ليقرروا في مؤتمر دولي بأن الشريعة الإسلامية مستقلة وليست مستمدة — كما يزعم البعض — من القانون الروماني ، ولذلك كانت المحاولات الأخرى لتشويه الأحكام الشرعية : أن توصف بالقسوة أحيانا ،

---

(١) انظر : معمر بن راشد الصنعاني ، مصادره ومنهجه وأثره في رواية الحديث د . محمد رأفت سعيد : ٦ .

وبعدم صلاحية التطبيق أحيانا ، وذلك لصرف المجتمعات الإسلامية عن العمل بها ، وإحلال القوانين الوضعية محلها .

د - ومن المجالات كذلك : النظر في السيرة والتاريخ الإسلامي ؛ لتجريده من الأمجاد ، وتصوير مواقفه تصويرا لا يتلائم مع حقيقة الأحداث وحقيقة الأشخاص ، معتمدين في ذلك على الروايات الموضوعية ، والتأويل الفاسد ، وحجب الإيجابيات ، ليبقى السجل التاريخي مشوها . وقد نجد من بعضهم مدحا لبعض الفترات في الماضي ؛ ولكن هذا يستعمل كحقنة تخدير في مناسبات بعينها ، حين يرى المخططون المستعمرون أن اتجاهاتهم جادة تريد للإسلام نهضة ، فيصرفون هذه الاتجاهات إلى المدح للأمجاد الماضية فحسب ، لينصرفوا عن التفكير الجاد في مشاكل الحاضر والمستقبل . على أن تصوير المستشرقين للتاريخ الإسلامي يبرزه مشوها في صورة صراعات متلاحقة ، تفسر بتفسيرات خاطئة يجرده التاريخ من الإيجابيات ولا يرى فيه إلا السلبيات .

هـ - ومن أساليبهم للطعن في اللغة العربية وآدابها : النظر إليها باعتبارها قاصرة عن استيعاب مبتكرات العصر ، وإلى أنها صعبة في نحوها و صرفها وإعرابها ، ولذلك يقومون بتشجيع الانصراف عنها إلى اللهجات العامية التي يتكلم بها كل إقليم من أقاليم المجتمعات الإسلامية على حدة ، ليتحقق لهم بذلك أمران هما :

١ - هجر اللغة العربية الفصحى حتى تنقطع صلة الناس بها ، وبالتالي لا يستطيعون قراءة القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو ما كتب حولها بلغة عربية فصيحة ، لتصير الفصحى كاللغة اللاتينية عندهم ، لغة تحفظ في متحف ولا تستعمل .

٢ - إن تشجيع العامية وإهمال الفصحى سيؤدى إلى القطيعة بين هذه الأقاليم ؛ حيث يتعذر التفاهم فيما بينهم بسبب اللهجات المتعددة والمختلفة ، واستعمل المستشرقون لترويج هذا الأمر دور التعليم فى المجتمعات المسلمة ووسائل الإعلام فيها ، فوضعت المناهج الدراسية ، وانبرى الكتاب من المستغربين تلامذة المستشرقين إلى تشجيع العامية ، والاستهزاء والسخرية من الفصحى ، وصياغة الأعمال الأدبية من تمثيلية أو فيلم أو مقالة أو غير ذلك من الصور الأدبية صياغة عامية .

### تصوير واقع المجتمعات المسلمة تصويراً مشوهاً :

ومن صور الطعن التى ضرب على أوتارها المستشرقون تصوير واقع المجتمعات المسلمة تصويراً يبرزها فى حالة من المهانة والتخلف ، حتى يشمئز العالم الآخر من هذه المجتمعات ، وفى الوقت نفسه يرجعون هذا التخلف إلى الإسلام الذى ينتمى إليه هؤلاء المسلمون ؛ فيكون الطعن فى مثل هذه الصورة طعناً غير مباشر ، حيث يقولون للمشاهد وللقارىء : لو كان الإسلام صالحاً لأصلح من هؤلاء ، وحاولوا ترسيخ هذا المعنى فى الأذهان بتصوير السليبيات فى المجتمعات المسلمة ، وحجب أى مظهر إيجابى يشعر بصلاحية هؤلاء أو استعدادهم الحضارى على الأقل ، بل وجعل الإغراء إلى حد تسخير مجموعة من أبناء العالم الإسلامى للقيام بمهمة فصل الحياة عن الدين ، حتى يتقدم المجتمع ، ولذلك وجدنا محاولة نقل مايسمى بالعلمانية إلى المجتمعات المسلمة .

### أ - العلمانية :

وهى التجربة التى عاشتها أوروبا بانفصال الحياة عن الكنيسة لتصبح

الحياة لادينية ، وإذا كان للأوروبيين ما يبرر لهم الفصل بين الكنيسة والحياة ، لما قامت به الكنيسة من تعويق لكل عمل تقدمي ولكل نهضة علمية ، وذلك بسبب تسلط القائمين على شؤون الكنيسة على عقول الناس بالخرافة ، وعلى أموالهم بالاحتيال في أخذها ، وتسلطت على العلماء بالتحريق والإعدام والتعذيب إذا خالفوا ماتعتقده الكنيسة ، والكنيسة كانت تعتقد أوهاما ، وتعتقد فكرا بشريا أعطته صفة القداسة ، فليست الكنيسة إذا ممثلة للدين المنزل على نبي الله عيسى — عليه السلام — وإنما تمثل تحريف البشر لهذا الدين ، وإفساده لعلاقة الإنسان بالله ، فتمنح صكوك الغفران لمن تشاء ، وتبيع الجنة لمن تشاء ، وأفسدت حياة الناس العلمية ، مما جعل الناس في أوروبا يرحبون بالانفصال عن هذا الوباء الذي حمل زورا اسم الدين ، وبهذا الانفصال تخلصت أوروبا من سيطرة الكنيسة بالصورة التي سبق ذكرها ، واستفاد علماءها من تراث المسلمين عن طريق الأندلس والاحتكاك بالمسلمين في الشرق الإسلامي ، وضاعفوا الجهود ، وتقدموا حتى وصلوا إلى مستوى كبير ملحوظ من التقدم المادى الذى يبهر كثيرا من العقول ، ولكنه تقدم بقدم واحدة ، لأنه لا يشبع فى الإنسان إلا جانبه المادى ، والإنسان ليس كذلك ، بل فيه جانبه الروحى الذى يحتاج إلى إشباع ، وهذا لا يتحقق للإنسان إلا فى وحى الله وشرعه ، والذى يشبع فى الإنسان عقله وقلبه وبدنه ، أى يشبع الجانب المادى والروحى ، وهذا قد جعله ميسرا للعالمين فى الإسلام ، فهل نقل تجربة العلمانية بالصورة التى أشرنا إليها سابقا فى أوروبا إلى العالم الإسلامى يعد نقلاً صحيحاً وسبيلاً إلى تقدم هذه المجتمعات المسلمة .

إن هذا الزعم الذى يقول بأن أوروبا فصلت الحياة عن الدين فتقدمت ،

وعلينا — إذا أردنا التقدم — أن تفصل الدين عن الحياة زعم باطل ، وذلك لأن مسمى الدين عندنا ليس كمسمى الدين عندهم ، فإن الدين عندنا هو الإسلام المحفوظ في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله — ﷺ — ، وهو الذى بث الحياة فى الأمة ، وهو الذى حركها إلى التقدم وإلى النظر والبحث فى آيات الله فى الأنفس والآفاق ، وليس فى الإسلام ما يسمى ( برجل الدين ) ، وإنما فيه الفقهاء والعلماء والمجتهدون الذين يصيبون ويخطئون ، والحجة لمن معه الدليل ، ومعنى كل هذا أن الإسلام هو العامل الوحيد للتقدم ، فكيف يفصل عن حياة الناس ؟ أما التخلف الملاحظ والمشاهد فى العالم الإسلامى فإنما يعود إلى أسباب أخرى، ترجع فى معظمها إلى ضعف الأخذ بالإسلام ، والانغماس فى الشهوات والتبعية للأمم الأخرى التى غزتها عسكرياً ، وأثرت فيها فكرياً فالعلمانية إذأ : تجربة ارتبطت بالبيئة الأوروبية ، وكانت انطلاقة للفرار من فساد الكنيسة والتقدم المادى ، ولكن ليست تجربة متكاملة أو مصالحة لأوروبا نفسها ، فهى — كما أشرنا — لم تحقق الإشباع الكامل للإنسان ، ولذلك تظهر آثارها السلبية — الآن — فى هذه المجتمعات المتقدمة مادياً ؛ حيث أصبحت الحضارة ، أو المدنية المادية تمثل حبلاً خانقاً فى أعناق هؤلاء . يفسر لنا ذلك العدد الكبير من المصححات النفسية ، والفراغ الهائل فى النفس الأوروبية ، الذى يؤدي بها إلى الانتحار والتخلص من الحياة ، كما تظهر آثارها السلبية فى هذا الجشع ، ومحاولة العلو فى الأرض بالإفساد ، والتصرفات التى لاتليق بالإنسان ، وإنما تليق بعالم الغابات ، حيث الحروب التى تدور حول المطامع البشرية ، والتسابق فى ترهيب البشر ، وتخويفهم وتهديدهم بالحروب المتتابة التى تلقى فيها الألوف بل الملايين من البشر حتفها ، لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء والأطفال ، فكيف يصح فى منطق العقل السليم أن تُنقل مثل هذه

التجربة السيئة إلى العالم الإسلامي ؟ إن المستشرقين وتلامذتهم حريصون كل الحرص على هذا ، ويبدلون في سبيله من أساليب الدهاء مايزين الباطل أمام من يجهل معالم الحق ، وهذه من صور التحديات الخطيرة المعاصرة .

فإذا كان مفهوم العلمانية في الغرب ( اللادينية ) ؛ فإن محاولة نقلها من تلامذة الاستشراق يمثل تحديا أخطر ، وهو محاربة الدين ، وإذا كانت العلمانية في الغرب تعنى فصل الحياة عن الدين ؛ فإنها تعنى لدى تلامذة الاستشراق محاربة الدين .

وبمعنى آخر : إذا كان التدين في أوروبا يطلق كتصرف شخصي كالثياب فتلبيس ماتشاء ، وتدين كما تشاء ، فإنها في الشرق أخذت قمع الدين ، وهذه صورة خطيرة من صور التحديات المعاصرة .

**ب - ومن أساليب الإفساد الاستشراقي في داخل المجتمعات المسلمة كذلك : استغلال قضايا المرأة ؛ وصولا إلى الإفساد الاجتماعي ، وتحطيم نظام الأسرة الذي يتميز به المجتمع الإسلامي في علاقة قوية ، تقوم على المودة والرحمة ، والقيام بالواجبات والحقوق بين الرجل وزوجته ، والأبناء والآباء والأمهات ، واستغلوا في ذلك جهالة الكثير من النساء بحقائق دينهم ، وسوء المعاملة من بعض الرجال والنساء .**

ومن هذه القضايا قضية السفور ومخاطرها ، والاختلاط وآثاره ، ومزاحمة المرأة للرجال في أعمال خارج البيت لاتتلاءم معها ، وامتهانها بصورة لاتتلاءم مع حياتها وكرامتها ، وقضية تعدد الزوجات ، والطلاق ، وغير ذلك من القضايا التي أسست على الجهل بحقائق الإسلام ، وعدم امتثال توجيهاته في الحياة الاجتماعية .

## ج - المستغربون ( الطبقة البديلة ) :

وهي الفئة التي تنتمي إلى المجتمعات المسلمة ، وتحمل أسماء مسلمة ، ولكنها صيغت في فكرها صياغة غريبة على يد أساتذتهم من المستشرقين ؛ لكي يكونوا في المهمة التي عجز عن تحقيقها والاستمرار فيها المستشرقون ، لانكشاف أمرهم ، وظهور وجههم في المجتمعات المسلمة . وتمت صياغة هذه الفئة عن طريقين :-

الأول : المدارس الأجنبية التي افتتحت في المجتمعات المسلمة ؛ لتدرس تحت برنامج خاص لصياغة هؤلاء .

الثاني : البعثات الخارجية ، وإن كان هذا الطريق أقوى من الطريق السابق ؛ لأن البيئة الخارجية تساعد في هذه الصياغة مساعدة ملحوظة ، وبعد أن تتم هذه الصياغة تبقى رعاية مخططي الاستشراق بهؤلاء في اختيار الأماكن المؤثرة في المجتمعات المسلمة ، بعد أن تسلط عليهم الأضواء . وأخطر هذه الأماكن دور التعليم ووسائل الإعلام .

د - ومن الأساليب التي يتبعها المستشرقون وتلامذتهم في التأثير على المجتمعات المسلمة : - إحداث اللغو والتشويش ، بالتأثير على المسموعات والمرئيات ، مستعملين في ذلك خطة محكمة يقوم بها هذا الفريق المتعدد في تخصصاته ، مستخدما وسائل الإعلام من مذياع وتلفاز وسينما ومسرح وصحف ومجلات وكتب .

ومن صور التحديات المعاصرة :

الحرب النفسية المصحوبة بالإرهاب والسخرية والتحذير ؛ لإحداث

الهزيمة النفسية ، وذلك بتصوير الأعداء بصورة كبرى ، وتضخيم ذلك ، والتأكيد المستمر والمتتابع على تخلف العالم الإسلامي ، وإدراجه تحت مسمى العالم الثالث ؛ ليقى الكبير كبيرا والصغير صغيرا ، دون أن يطمع الصغير في التقدم ومزاحمة الدولتين اللتين توصفان بالعظميين ، ويتم هذا التأثير النفسى باستعمال وسائل الإعلام السابقة بإمكاناتها المتنوعة .

### ثالثا : أهل الكتاب :

أ — ويمثل عداؤهم المعاصر فى الصهيونية ، وخطرها المادى والمعنوى ، حيث تحاول السيطرة المادية العالمية ؛ لاستعمال الاقتصاد فى التأثير على سياسة الدول ، وكذلك التأثير المعنوى فى إغراق العالم بالشبهوات ، وتحللهم من القيم الخلقية والمبادئ التى تحفظ للإنسان كرامته وشخصيته . يتضح ذلك جليا فى مخططاتهم وكتاباتهم ، وتستطيع أن تقرأ ذلك فى التلمود وبروتوكولات « حكماء صهيون وغيرها » .

كما يكمن الخطر الصهيونى فى المحافل الماسونية ونواديبها ، التى ترفع شعارات تخدع كثيرا من الناس ، لتمارس فى الخفاء أهداف الصهيونية الماكرة .

من هذه الشعارات ( الحرية والإخاء والمساواة ) ، وذلك الأسلوب المخادع تابع للكيد اليهودى المدمر فى عالنا المعاصر الذى يستهدف تفريق جسد الأمة بعد القضاء على دولة الخلافة ففى بروتوكولات صهيون .

قد فتننا بعضهم ببعض بالأمر الشخصية والشئون القومية لكل منهم ، وسيظل هذا الانهيار فى طريقه ، حتى يستنزف قوى الإنسانية وتلهيها الانقسامات ، وتفشوا المكائدات والحسد ، كما تفشوا المجاعات <sup>(١)</sup> .

(١) انظر : شبهات التغريب : ٢٤ .

ومن مصادر الخطر المنتسب إلى أهل الكتاب ( الصليبية الحاقدة ) ،  
التي تنكرت للمعاملة الكريمة في المجتمعات المسلمة ، وصارت تأكيد  
للمسلمين كيذا مُدمرا ، ظهر في الحروب الحاقدة التي شنتها على العالم  
الإسلامي ، ولم تتوقف عند ذلك ، بل استعملت أسلوب التنصير الذي  
استهدف الإسلام والمسلمين .

وهذا التنصير بدأ مع الدراسات الاستشراقية بداية مبكرة ومتضافرة مع  
الدراسات الاستشراقية لمحاولة تشكيك المسلمين في دينهم ، نظرا لأن  
المنصرين يدركون أن مآلديهم من عقائد منحرفة ، ومبادئ عبثت فيها  
الأفكار البشرية ، لاتغرى مسلما يتمتع بصفاء وصحة في عقيدته وفي مبادئه  
وتصوراته ، ولذلك اتبع المنصرون أسلوب التضليل ، ومحاولة التشويه  
لشخصية النبي ، ومحاولة تشويه مبادئ الإسلام ، ولما فشلوا في تحويل  
المسلم إلى النصرانية اكتفوا في خدمتهم للمستعمر بأن يسهموا في تحلل  
المسلم من مبادئه فحسب ؛ ليكون بلا شخصية ؛ وليسهل قياده ، وتسهل  
السيطرة الاستعمارية عليه .

وهذا التنصير تشرف عليه الكنائس العالمية الحاقدة وأساتذة  
الاستشراق ، ويعقدون لذلك المؤتمرات المتتابة ، لدراسة ما تم ، ووضع  
الإمكانات المادية الكبيرة تحت تصرف هؤلاء المنصرين ، وتقديم للدول  
المستعمرة كل مساعداتها من أجل ذلك .

#### رابعا : النفاق المعاصر :

وتظهر خطورته في آثاره السلبية السيئة داخل المجتمعات المسلمة ،  
مما يعين أعداءها في الخارج على تحقيق مخططاتهم ويظهر النفاق المعاصر

فى الأعمال الآتية :

أ — تعويق العودة الصحيحة إلى الإسلام بتكامله داخل المجتمعات المسلمة .

ب — الخداع والظهور بغير حقيقته ، ورفع الشعارات التى توهم أنه مناصر للإسلام ، وهو يخطط لهدمه .

ج — إماتة روح الجهاد فى الأمة ، حتى تكون مهيشة لأبسط الضربات من عدوها ، ومتقبلة لغزوه بلا مقاومة .

#### خامسا : القتال المدمر :

ويأتى نتيجة لتضافر جهود أعداء الإسلام فى الداخل والخارج ، وبصورة يستعمل فيها أفنك الأسلحة وأكثرها تطورا ، لمحاولة الإجهاز على العالم الإسلامى ، واقتطاع ما يمكن من أجزائه ، ويتمثل التحدى فى هذه الصورة فى إرهاب المجتمعات المسلمة للحاق بالتسابق المجهد فى التسليح المناسب لقوى الأعداء المادية ، وما يتطلبه ذلك من جهد مالى ونفسى .

#### سادسا : القوى الخارجية شرقية كانت أم غربية :

وتدرس كل صغيرة وكبيرة ، وتخطط لاستمرار السيطرة على العالم الإسلامى ، وهذه القوى قد تكون مختلفة فيما بينها ، ولكنها تتداعى وتنسق الجهود فيما بينها عندما تكون المواجهة للإسلام وأهله ، وهذا ما حذر منه رسول الله — ﷺ — فى قوله الكريم « يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة

منكم : وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يارسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت . (١)

ومن أساليب تخطيط هذه القوى للتأثير على المجتمعات المسلمة تبنى محبى الزعامة فى إنشاء فرق ضالة تؤثر تأثيراً سلبياً على هذه المجتمعات . ولخطورة هذه الفرق نتناول نماذج منها ؛ لنقف على مظاهر التخطيط المعادى للإسلام فى هذه الفرق ، وكيف اتخذت هذه القوى المعاصرة من معرفتها لتاريخ هذه الفرق الضالة وجذورها سبيلاً إلى الوقوف بجانبها ومساندتها . ونقدم فيما يلى تعريفاً بجنود هذه الفرق ، وبداية تكوينها ، والتعرف على حقيقة هذا التكوين ، وبيان الحركة الأم فى ذلك وهى الباطنية ، والأساليب التى اتبعتها فى نشر باطلها .



---

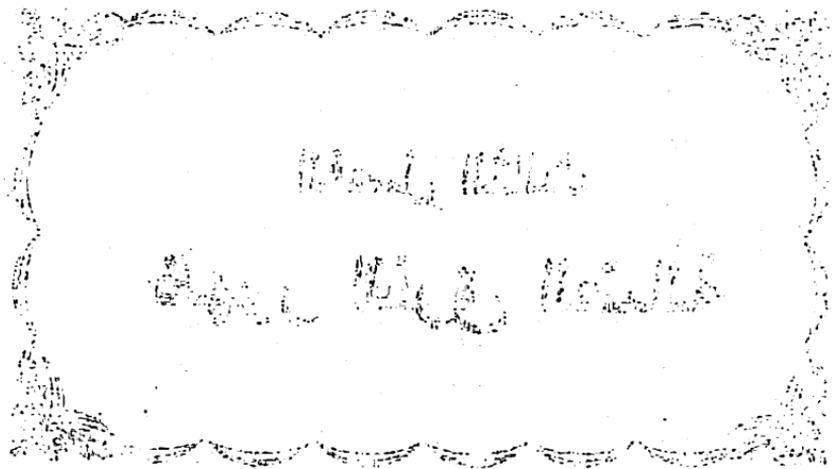
(١) أخرجه أبو داود . انظر جامع الأصول : ( ١٠ / ٢٨ ) .





الفصل الثالث

ظهور الفرق الضالة



## ظهور الفرق الضالة

### تبنى محبى الزعامة فى إنشاء الفرق الضالة

#### ظهور الفرق :

لقد بدأ المجتمع الإسلامى بداية قوية ، حيث تجتمع كلمة المسلمين على أمر الله ورسوله فى صورة لم يعرف لها مثيل على مر التاريخ ، حيث يلتف المسلمون حول رسول الله - ﷺ - يسمعون أمره ، ويستجيبون له فى اقتداء كامل ، يشمل جوانب حياتهم . وظهرت آثار هذه الاستجابة فى تراحم أفراد المجتمع فيما بينهم ، وفى قوته وشدته على أعدائه : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .

على أن اجتماع الكلمة لايعنى أنه لم يوجد اختلاف فى وجهات النظر إلى بعض المسائل الجزئية ، بل إن اختلاف الرأى وتعدد وجهات النظر فى بعض الأمور يدل على خصوبة الفكر ، وعلى الحركة الذهنية النشطة التى حركها الإسلام فى عقول أتباعه ، ولذلك أقر الرسول - ﷺ - مثل هذا النظر المتعدد فى المسألة<sup>(٢)</sup> ، وتعود المسلمون على ذلك ، ولكن فى مجال الأمور الجامعة يخرجون من هذا التعدد إلى رأى موحد تسيير عليه الأمة ، وخاصة إن ذُكروا بنص غاب عنهم ، أو يعمل من أعمال الرسول - ﷺ - رآه بعضهم ، ومثال ذلك كثير فى حياة النبى - ﷺ - ، واستمروا على

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) انظر : معمر بن راشد الصنعائى : مصادره ومنهجه وأثره فى رواية الحديث د .

محمد رأفت سعيد : ١٨٥ ..

ذلك بعد أن لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى : (١)

وعلى الرغم من ذلك نقرر أن هذا لم يمنح من وجود جماعة من المنافقين لم يسيروا على هذا المنهج ، بل كان شأنهم أن يبطنوا الكفر ، وأن يُظهروا مايرضى المسلمين ، وكانت هذه النزعة نتيجة شعور منهم بقوة المجتمع المسلم فى ذلك الحين .

### نماذج من وجهات النظر المتعددة وكيف يتم الاتفاق

١ — عندما مات رسول الله ﷺ — وقع الاختلاف فى موته ، وكان ذلك لكبر المصيبة عليهم ، ولحبهم الشديد لرسول الله ﷺ — ، فلم يتصور بعضهم أنه مات ووقف عمر وقفته المشهورة ؛ ليهدد من قال بموته ، وكان الاتفاق عندما ذكرهم أبو بكر — رضى الله عنه — بما قاله الله تعالى فى ذلك ، حيث وقف فيهم خطيبا فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (٢) ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ (٣)

٢ — وحدث اختلاف فى موضع دفن النبي ﷺ — ، فرأى بعضهم أن يدفن فى مكة ففيها مولده ، وفيها البيت العتيق ، وفيها عاش ،

(١) انظر : الفرق بين الفرق : ١٤ — ٢٢ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) الزمر : ٣٠ .

وفيهما بعث ، ورأى بعضهم : أن يدفن في المدينة ، فإليها هاجر ، وفيها استقر ، وفيها تكون المجتمع ، ورأى بعضهم أن يدفن في بيت المقدس ، بجوار قبر جده إبراهيم — عليه السلام — وافتقوا عندما ذكر لهم أبو بكر — رضى الله عنه — نصاً نبويا كريما في ذلك حيث يقول فيه النبى — ﷺ : — إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون . فدفن — عليه السلام — في حجرته بالمدينة .

٣ — واختلفوا في الإمامة من بعده ، فرأى الأنصار أنهم أحق بها ، ليس وصولا إلى سلطة ، لأنهم هم الذين آووا ونصروا ، وهم الذين قدموا لرسول الله — ﷺ — وللمهاجرين ما شهد به لهم القرآن الكريم ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ، (١) وفي مدينتهم تأسست الدولة الإسلامية ، ورأى المهاجرون كذلك أنهم أحق بالإمامة ، فهم الذين آمنوا برسول الله في أول الدعوة ، وتحملوا في الله في أنفسهم وأموالهم ، ورسول الله — ﷺ — ، منهم ، وهم الذين تدين لهم العرب ، ولذلك يرون أنفسهم أنهم أحق بهذا الأمر .

دار حوار في سقيفة بنى ساعدة . على أحسن ما تكون الطرق في الحواز ، فكل حاضر يريد أن يدلى برأيه يقول به ومعه دليله ، ويناقش الرأى الآخر ويبين وجهة النظر فيه ؛ لكي يصلوا في نهاية الأمر إلى اتفاق ، وإلى بيعة الصديق أبو بكر — رضى الله عنه — بالخلافة ، فلم يكن رائدهم الهوى والعرض المفرق .

(١) الحشر : ٩ .

٤ — ولقد وجد اختلاف فى الرأى — أيضا — فى قتال مانعى الزكاة ، فمنهم من يرى ألا يقاتلوا ، ويبقى الجيش الإسلامى ليؤدى مهمته فى النود عن المدينة ، ومنهم من يرى قتالهم ، وكان على هؤلاء أبو بكر — رضى الله عنه — إذ قدم حجته ألا فرق بين الصلاة والزكاة ، وقال كلمته المشهورة .

« لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله — ﷺ — لقاتلتهم عليه »  
واتفق الناس على رأى أبى بكر فى وجوب قتالهم .

٥ — واتفقت كلمتهم كذلك على قتال مدعى النبوة مسيلمة والمرتدين .

٦ — كما اتفقت كلمتهم على قتال الروم والمعجم .

٧ — واتفقت كلمتهم على الفتوح .

ولم يمنع هذا الاتفاق ( الذى كان من ثمراته قوة المجتمع المسلم ، وفتح البلدان ، ونشر الإسلام فيها ، ودخول الناس فى نوره بصورة عمت بقاعا كثيرة ) من وجود الآثار السلبية للنفاق وأهله ، وكان من هذه الآثار الناتجة من تحالف المنافقين مع أعداء الإسلام أن ظهرت الفتن التى بدأت بمقتل عثمان — رضى الله عنه — ، وقد قتل قبله عمر بن الخطاب بيد المجوسى الحاقد ، وظل النفاق والعداء للإسلام يعمل عمله فى توسيع الخلاف وبت الفرقة فى صفوف المسلمين ، فوجد الاختلاف فى شأن على — رضى الله عنه — بعد أن تولى الخلافة بعد مقتل عثمان — رضى الله عنه — .

وظهرت فكرة التشيع كطريق يستتر فيه المفرضون ؛ لتفتيت هذه الوحدة ، كما ظهر فى مقابل هذه الفكرة فكرة الخروج ، وما يتبعها من أفكار لايراد منها — أيضا — إلا تصديق هذا المجتمع المسلم الذى كان

متفقاً .

واستمرت الأفكار التي تزيد من الفرقة تعمل عملها ، وتتكون لها فرق يصير لها سمات تميزها عن غيرها ، ويدور الصراع بين هذه الفرق ، والذي يصلى نار هذه الفرقة هو المجتمع المسلم الذي كان مؤتلفاً .

وأخطر هذه الفرق التي خرجت عن الإسلام خروجاً ظاهراً فرقة الروافض ، التي أظهرت بدعتها منذ زمن علي — رضى الله عنه — ، فقال بعضهم لعلى : أنت الإله ، فأحرق على قوما منهم ، ونفى ابن سبأ إلى المدائن ، ومثل هذا القول لعلى لا يجعلنا نضع هذه الفرقة فى عداد الفرق الإسلامية التي لها اجتهاداتها ؛ وإنما هى فرقة خارجة تحمل لتحطيم الإسلام والإجهاز عليه ، وكان من آثار هذه الفرقة ظهور دعوة الباطنية فى أيام المأمون على يد حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القلاح .<sup>(١)</sup>

### الباطنية :

فالباطنية ليست من فرق الإسلام ؛ بل هى من الفرق الضالة التي لم ير منها إلا الشر ، ويقول أحد المؤرخين للفرق والمبينين للفرق بينها وهو : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائينى التميمي المتوفى عام ٤٢٩ هـ فى ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الإسلام : اعلّموا أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ؛ بل أعظم من ضرر الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان .<sup>(٢)</sup>

(١) انظر الفرق بين الفرق : ١٤ — ٢٢ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ٨٢ .

ويقول أيضا : وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على إظهاره ؛ خوفا من سيوف المسلمين ، فوضعوا أسسا من قبلها منهم صار الباطن إلى تفضيل أرباب المجوس ، وتأولوا آيات القرآن الكريم وسنة النبي — عليه الصلاة والسلام — وعلى موافقة أسسهم (١) .  
ولقد سلكوا مسلك الاحتيال في تأويل الأصول ، ولم يكتفوا بذلك ، وإنما تجاوزوا هذا إلى فروع الشريعة لطمس معالمها والإجهاز عليها .

ويقول عبد القاهر أيضا : ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك عمدوا — أيضا — لتأويل أحكام الشريعة إلى وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة ، أو إلى مثل أحكام المجوس ، الذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات ، وأباحوا شرب الخمر وجميع الملذات . (٢) .

ففرض الباطنية في ذلك واضح غاية الوضوح في محاولة الإجهاز على الإسلام ، ولكن اختلف المتكلمون في بيان أغراضهم بعد القضاء على الإسلام كما يريدون ، فهل يدعون إلى دين آخر محل الإسلام أم أنهم يكتفون بكونهم قد فرغوا نفوس المدعويين من الإسلام ؟

لقد ذهب أكثر المتكلمين إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوسية بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة . واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم ميمون بن ديسان كان مجوسيا من سبي

(١) انظر : المصدر السابق : ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ص ٢٨٦ .

الأهواز ، ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس إلى دين أبيه .

ومن المتكلمين من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران ، ودليلهم على ذلك : أن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرائية ، واستدلوا على ذلك أيضا : بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ، ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم ، وكذلك الباطنية لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم بعد استغلالهم إياه على ألا يذكر أسرارهم لغيرهم .

ويرى آخرون ومنهم عبد القاهر : أنهم دهرية زنادقة ، يقولون بقدم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها ، ولميلها إلى استباحة كل مايميل إليه الطبع .

ويقول عبد القاهر <sup>(١)</sup> والدليل على أنهم كما ذكرناهم مآقره في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الأكبر والناموس الأعظم ، وهى رسالة عبيد الله الحسين القيروانى إلى سليمان بن الحسن بن سعيد أوصاه فيها بقوله : ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه . يتضح من هذا كيف يتقربون إلى الناس من أى طريق ، لأنهم يهدمون ، وليس لديهم التزام بمبدأ يحافظون عليه . يقول بعد ذلك . فمن أنست منه رشدا فاكشف له الغطاء . والرشد هنا ليس معناه رجاحة العقل ، وإنما معناه الوصول إلى القيادة السهلة ، أى من أنست منه طاعة وسهولة انقياد فاكشف له الغطاء . ثم يقول : وإذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة معولنا ، وأنا

---

(١) المرجع السابق .

وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء على القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرا لا نعرفه .

وذكر في هذا الكتاب أيضا إبطال القول بالمعاد والعقاب ، وذكر كذلك أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والجهاد .

ويذكر أيضا — من الأدلة على أنهم من الدهرية ما جاء في هذا الكتاب — أيضا — من قوله « أكرم الدهريين فإنهم منا ونحن منهم » .

وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية إلى الدهرية ، والذي يؤكد هذا أن المجوس يدعون نبوة زرادشت ، ونزول الوحي عليه من الله تعالى ، وأن الصابئين يدعون نبوة « هرمس » و « أليس » و « زيروثيوس » وجماعة من الفلاسفة ، وسائر أصحاب الشرائع ، كل صنف منهم مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ، ويقولون : إن ذلك الوحي شامل للأمر والنهي والخبر عن عاقبة ما بعد الموت من ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيها الجزاء عن الأعمال السالفة .

والباطنية يرفضون المعجزات ، وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي ، ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة ، فساسوا العامة بالنواميس والحيل ، طلبا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة .

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تحليلا ، فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم ، والحج زيارته وإدمان خدمته ، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام ، وزعموا أن

من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها .

وتتضح الأهداف — بصورة كاملة — فى رسالة القيروانى إلى سليمان هذا فى قوله : إنى أوصيكم بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة فى السماء ، وإبطال الجن فى الأرض ، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير ، فإن ذلك عون لك على القول بقدوم العالم .

كما يتضح التحليل الكامل من الضوابط الخلقية والعلاقات الاجتماعية التى فطر الناس عليها إلى حد تشمئز منه النفس فى قوله فى آخر رسالته وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة فى حسننها فيحرمها على نفسه ، وينكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي ، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم ( أى الرسول ﷺ ) حرم عليهم الطيبات .

وليس بعد هذا وضوح فى محاولة الهدم الخلقى بعد الهدم للعبادة ، والهدم للعقيدة ، والمناطقحة للفطرة المستقيمة ، ولا ينسى فى هذا الهدم أن يبنى أتباعه بالجزاء ، فيقول لسليمان فى هذه الرسالة « وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس »

ولكن أى فردوس يريدون ؟ إنهم لا يريدون فردوس الآخرة ، فهم لا يؤمنون بها ؛ وإنما يريدون لذات الحياة الدنيا ، فيقول له — أيضا — : وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس .

وفى هذا الذى ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب  
الدهريين ، واستباحة المحرمات ، وترك العبادات ، ومحاربة كل مايتصل  
بالوحي .

ولكى نقف على أساليب الحركات المنحرفة الباطلة ينبغى أن نتعرف  
على منهج الحركة الأم ، لأن المنهج واحد وإن تعددت أو تنوعت الأساليب  
والوسائل من عصر إلى آخر .

### منهج الدعوة إلى باطلهم :

ومن عناصر المنهج الذى اتبعوه :

- ١ — اختيار المدعويين من الجهلة .
- ٢ — اختيار المناخ الملائم ، فيتجنب الحديث فى المجالس التى فيها أهل  
النظر وأهل العقل .
- ٣ — اتباع أسلوب التدرج مع المدعو ، حتى يصلوا به إلى الانسلاخ الكلى  
من الإسلام ، وهذه الدرجات وتلك المراتب هى التفرس ، والتأنيس ،  
والتشكيك ، والتعليق ، والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والموائيق بالأيمان  
والعهود ، وآخرها الخلع والسلخ (١)

فأما التفرس (٢) : فإنهم ذكروا من شرط الداعى إلى بدعتهم أن يكون  
قويا على التلييس ، وعارفا بوجوه تأويل الظواهر ، ليردها إلى الباطن ،  
ويكون مع ذلك مميزا بين من يطمع فيه وفى إغوائه ، وبين من لامطمع فيه ،

---

(١) انظر فضائح الباطنية لأبى حامد الغزالى — تحقيق : عبد الرحمن بدوى : ٢١ .

(٢) المرجع السابق : ٢١ — ٢٣ .

ولهذا قالوا فى وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم : لاتتكلّموا فى بيت فيه سراج ويعنون بالسراج من يعرف وجوه النظر والمقاييس ، وذكروا من شرط الداعى إلى بدعتهم : أن يكون عارفا بالوجوه التى تدعى بها الأصناف ، فليست دعوة الأصناف من وجه واحد ؛ بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه إلى بدعتهم ، أمثال ذلك : من رأى الداعى أنه يميل إلى العبادات حمّله على الزهد والعبادة ، ثم سأله عن معانى العبادات وعلل الفرائض وشككها فيها .

ومن رآه ذا مجون و خلاعة قال له : العبادة بله و حماقة ؛ إنما الفطنة فى نيل الملذات . ومن رآه شاكا فى دينه أو فى المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفى ذلك ، وحمّله على استباحة المحرمات .

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبئية والمنصورية والخطائية لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار ؛ لأنهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم .

ومن رآه من الرافضة مائلا إلى الطعن فى أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة ، وزين له بغض بنى تيم لأن أبا بكر منهم وبغض بنى عدى لأن عمر بن الخطاب منهم ، وحشّه على بغض بنى أمية لأن عثمان ومعاوية منهم .

ومن رآه الداعى مائلا إلى أبى بكر وعمر مدجها عنده ، وقال : لهما حظ فى تأويل الشريعة ولهذا استطحب النبى أبا بكر إلى الغار ، ثم إلى المدينة ، وأفضى إليه فى الغار تأويل شريعته ، فإذا سألهم الموالى إلى أبى بكر وعمر عن التأويل المذكور لأبى بكر أخذ عليه العهود والمواثيق فى كتمان ما يظهره له ، ثم ذكر له على التدرّيج بعض التأويلات ، فإن قبلها منه أظهر الباقى ، وإن لم يقبل منه التأويل الأول ربطه فى الباقى ، وكتّمه عنه ، وشك

الغُرُّ من أجل ذلك فى أركان الشريعة .

(١)

درجة التأنيس :

وهى قريبة من درجة التفرس ، وهى تزيين ماعليه الإنسان من مذهبه فى عينه ، ثم سؤاله بعد ذلك ماهو عليه ، أى سؤاله عن تأويل ماهو عليه ، وتشكيكه إياه فى أصول دينه ، فإذا سأله المدعو عن ذلك قال : علم ذلك عند الإمام ، ووصل منه بهذا إلى درجة التشكيك ، حتى صار المدعو إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر غير مقتضاها فى اللغة ، وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات .

درجة الربط :

وهو عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة ، فإما أن يقبل منه تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها ، وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها .

درجة التديس :

وهى قولهم للغرُّ الجاهل بأصول النظر والاستدلال وأن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة ، فإذا سألهم عن تأويل الباطن قالوا : جرت سنة الله تعالى فى أخذ العهد والميثاق على رسله ، ولذلك قال : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾<sup>(٢)</sup> ، وذكروا له قوله : ﴿ ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾<sup>(٣)</sup> ،

---

(١) فضائح الباطنية : ٢٤ .

(٢) الأحزاب : ٧ .

(٣) النحل : ٩١ .

فإذا حلف الغر لهم بالأيمان المغلظة وبالطلاق والعتق وتسييل الأموال فقد ربطوه بها ، وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدى إلى رفعها بزعمهم ، فإن قبل الأحق ذلك منهم دخل فى دين الزنادقة باطنا واستتر بالإسلام ظاهرا ، وإن نفر المخالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتبتها عليهم ؛ لأنه حلف لهم على كتمان ما أظهره له من أسرارهم ، وإذا قبلها منهم فقد حلفوه وسلخوه عن دين الإسلام . وقالوا لهم حيثئذ : إن الظاهر كالقشر ، والباطن كاللب ، واللب خير من القشر .

قال عبد القاهر : حكى لى بعض من كان دخل فى الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه إلى حل أيمانهم : إنهم لما وثقوا منه بأيمانه قالوا له : إن المسلمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق<sup>(١)</sup> أحبوا الزعامة على العامة ، فخدعوه واستعبدهم بشرائعهم . يقول الحاكي لى : ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال : ينبغى أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى ابن عمران من الشجرة فقال له : إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى ، قال الرجل الحاكي : قلت سخنت عينك ، تدعونى إلى الكفر بالرب الخالق للعالم ، ثم تدعونى مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق ، وتزعم أنه كان قبل ولادته إليها مرسلا لموسى ؟ فإن كان موسى عندك مخرقا فالذى زعمت أنه أرسله أكذب . يقول الرجل : فقال لى : إنك لاتفلق أبدا ، وندم فى إفشاء أسرار

---

(١) فضائح الباطنية : ٢٩ — ٣٢ .

إلى ، وتبت من بدعتهم (١)

وعن طريق أمثال هذا الرجل من التأيين عرف الناس كثيرًا من أسرارهم ، كما أنه يمكن الحصول على هذه الأسرار عن طريق ما كتبه ووقع في أيدي المسلمين . وسنرى هذا واضحًا في الفرق التي تمتد بجذورها إلى الباطنية .



---

(١) انظر : الفرق بين الفرق : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

## البابية

وتتناول الآن حركة من الحركات الهدامة التي تظهر خطورة التخطيط العدائى للإسلام ، والذي يتخذ المكان المناسب والزمان المناسب والأفكار المناسبة ؛ للانقضاض على الإسلام فى أصوله وفروعه .

ولقد اتفقنا على ألا نسمى مثل هذه الحركات بالحركات الإسلامية ، لأنه لاخير فيها للإسلام والمسلمين ، والشر كله منها . يقول ابن حزم فى أمثال هذه الحركات : إن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرا ، ولافتح بهم من بلاد الكفر قرية ، ولارفع للإسلام راية ، وما زالوا يسعون فى قلب نظام المسلمين وكتلة المؤمنين ، ويسلون السيف على أهل الدين ، ويسعون فى الأرض مفسدين ، أما الخوارج والشيعة فأمرهم فى ذلك أشهر من أن يتكلف ذكره ، وما توصلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة (١) .

وأما حديثنا عن البابية ، فسيلور حول العناصر السابقة والتي تبرز لنا هذا التخطيط المعادى ، فزعيمها على بن محمد الشيرازى (٢) ولد فى مدينة شيراز من أبوين منسوين إلى العلوية سنة ١٢٣٥ هـ ، ومات أبوه قبل الفطام ، فتربى فى حجر خاله ميرزا سيد على التاجر ، وشب وتعلم مبادئ العربية والفارسية ، وتعلم الخط واشتهر به ، ويبدو أنه لم يحسن من اللغتين إلا رسمهما ،

(١) انظر : الفصل ج ٤ ص ٢٢٧ وانظر البهائية : تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية للشيخ عبد الرحمن الوكيل : ٣٣ .

(٢) انظر : دراسات عن البهائية والبابية : ١١٠ .

ولما بلغ سن الحلم أخذه خاله في متجره ، وعلمه المساومة والمقايضة وسائر الفنون التجارية ، ثم أخذه إلى مدينة يوشهر ، ومكث عنده حتى بلغ العشرين ، وكان في تلك الأثناء مشتغلا بالرياضيات الشاقة ، وماسمى بـفن التنجيم وغير ذلك من الأمور الداخلة في دائرة الشعوذة ، وكان يصعد إلى سطح القاعة وهو عارى الرأس ، ويمكث في الشمس من وقت الظهيرة ، إلى العصر ، وليس ذلك في جو معتدل ، وإنما تكون الحرارة في درجة ٤٢ م — مثلا ، وهو يتلو الأوراد ، ويعتره من جرّاء ذلك نوبات عصبية شديدة (الهستيريا) ، حتى انحطت قواه ، فعظم الأمر على خاله ، ولم يجد له نفعاً بنصائحه ، فزجره وعنفه ؛ لينصرف عن هذه الأمور الشاقة ، ولكنه رفض أوامره ، فغضب الخال وسفره إلى « كربلاء » و « النجف » ليستشفى بقبر أمير المؤمنين علي والإمام الحسين — رضي الله عنهما — ، وسفره إلى هذه الأماكن جعله قريبا من مجالس كاظم الرشتي بعد أن توطن كربلاء ، واعتكف للرياضيات الشاقة ، وتعرف إلى بعض تلاميذ كاظم وظل يتردد عليه في مجالسه ، وسمع منه الشرح على كتب الأحسائي ككتاب الفوائد وشرحه ، وشرح الزيارة الجامعة ، وشرح العرشية وغيرها . ودُهِش أول الأمر من عبارات كاظم والأحسائي ، ثم استأنس بها ، ولازم كاظم الرشتي ، وأخذ يستوضح منه ما يشكل عليه ، ثم انقطع عن مجلسه فترة من الزمن اتفق فيه مع بعضة نفر وتوجهوا إلى مسجد علي ، وانقطعوا للرياضة ، وهؤلاء المرتاضون يلقبون بالأربعينية ، وبعد ماتمت رياضته خرج من الخلوة إلى الجلوة بمظهر غير المظهر العادي ، فصار يحضر مجالس كاظم الرشتي وهو في حالة من الذهول والاندهاش .

وبدأ يتكلم مع بعض كبار تلاميذ كاظم بكلمات اعتبروها خارجة عن منهج الإسلام ومخالفة له ، فلاطفوه وجاملوه في أول الأمر ، ولكنهم هجره أخيرا

بعدما تبين لهم حاله .

وبدأ يدعو الناس خفية ، وأظهر من التقشف ما جعل السذج يميلون إليه ، وبعد ما كان يستأنس من أحدهم ويطمئن على سداجته ، يبدأه بقوله : « ادخلوا البيوت من أبوابها » .

ويقول لهم : أنا مدينة العلم وعلى بابها ، ويعنى بذلك أن الوصول إلى الله تعالى ممتنع ؛ لأن الطريق مسدود إلا عن طريق الرسالة والنبوة والولاية ، ولما كان الوصول إلى تلك المراتب صعبا ولا يمكن إلا بواسطته فأنا تلك الوسطة الكبرى ، وكما لا يجوز الدخول إلا من الباب فأنا ذلك الباب ، فسمى نفسه الباب ، وترك اسمه الأصلي ، وهذا سبب تسميتهم بالباوية ، ولما اشتهرت دعوته مال إليه بعض السذج ، ونفر منه أتباع الأحسائي وكاظم ، وكفره أهل الحديث وعلماء الأصول . ومع كل هذا تزعم البابية أن آخر مبشر بعد الأنبياء والرسل بالباوية رجلان عالمان وهما : أحمد الاحسائي وكاظم الرشتي<sup>(١)</sup> ووصل عدد اتباعه ثمانية عشر رجلا ، علمهم تقاليد ، وأساس معتقداته ، وأرسلهم إلى بلاد إيران لتبشير الناس بظهوره ، وحذرهم من إظهار اسمه حتى يصدر لهم أمرا آخر .

ثم بدأ يشتغل بتأليف الكتب وتلوين الأحكام ، وأول كتاب ألفه في كربلاء هو : الرسالة العملية في الفرائض الإسلامية ، وكان منهجه في هذا منهج العايب الذي ينبذ من الفرائض ما ينبذ ويفند ما يفند دون أساس علمي ،

---

(١) انظر : تاريخ البابية ، أو مفتاح باب الأبواب — د . مرزا محمد مهدى خان :

١١٦ — ١١٨ .

وانظر : البهائية للسيد محب الدين الخطيب : ص ٤ ، ٥ .

ثم شرع فى شرح سورة يوسف فى كتاب جعله فى اثنى عشر فصلا ، وكرر قوله القبيح : « إننى أفضل من محمد ، كما أن قرآنى أفضل من قرآن محمد ، ماذا قال محمد : يعجز البشر عن الإتيان بسورة من سورة القرآن » فأنا أقول : يعجز البشر بحرف مثل حروف قرآنى . إن محمدا كان بمقام الألف ، وأنا بمقام النقطة ، ثم إنه عند توجيه دعائه إلى البلاد الفارسية حثهم على إيراد اسمه بأى طريقة فى المآذن والمنابر ، وذلك بعد أمره الأول بالكتمان ، وأصبح يهتم بإعداد العدة للسفر إلى الحجاز ، وكان قصده من ذلك إثبات مشروعية دعوته وإقامة أمر مشروعيتها على السذج ، وحسما للقييل والقال ، لأن المهدي المنتظر ينتظر المسلمون ظهوره من مكة المكرمة ؛ واجتمع معه أصحابه فرحلوا إلى بغداد ومنها إلى البصرة ، وأقلعوا منها فى سفينة شراعية إلى الحجاز فى سنة ١٢٥٩ هـ ، ولكن هذه الرحلة لم تسلم من القيل والقال ، فخبر وصوله إلى مكة لا يؤكد الواقع ، فلم يصل إلى الحجاز ولم يدخل مكة ، وذلك بسبب هيجان البحر وغرق السفينة ، فعانى الباب من الغرق وخرج مع أتباعه إلى « يوشهر » وهذا يؤكد مايلي :-

- ١ - لو كان الباب سافر إلى الحجاز لسمعه الحجاج وأذاعوا أمره ، ولكن لم يثبت ذلك .
- ٢ - أن المسلمين عموما والشيعة خصوصا ينتظرون المهدي ، فهل يكتف المسلمون هذا الأمر بعد ظهوره .
- ٣ - أين مواقف الناس فى مكة من مؤمن به وكافر به .

---

(١) انظر تاريخ الباية - د - مرزا محمد مهدي : ١٢١ .

٤ — وهل كانت دعوته فى مكة دعوة سرية أم كانت خاصة لمن صحبه ؟

وإذا كانت خاصة فلماذا كان السفر ؟

وقيل : إنه سافر إلى مكة ، ولكن هدأ هوسه هناك وخاف ، فلم يجرؤ على إظهار دعوته ، وأما دعاته الذين توجهوا إلى إيران ، فمنهم محمد على المازندراني ، الذى توجه إلى مدينة كرمان مع أحد اتباعه ، ولسوء حظه وبتدبيره السيء الذى كان يطمع فى أن يستميل شخصية كبيرة حتى يدخل فى البابية عدد كبير — توجه إلى محمد كريم خان ومعه بعض رسائل الباب ، ومجموعة من الخطب على سياق نهج البلاغة لعلى — رضى الله عنه — ، ومعه رسالة خاصة إلى محمد كريم يدعو فيها إلى الإيمان بالباب ، ونبذ أحكام القرآن ، ورفع لواء العصيان مستدلاً ببعض الأخبار الموضوعة ، مثل : يأتى المهدي بشرع جديد وكتاب جديد هو على العرب شديد .

وهذا الخبر فيه من المعانى ما يدل على التدبير المحكم لإفساد المجتمعات الإسلامية ، وإثارة العصبية ، فالخبر من تليفه ومن سجعه ، ويحرك العصبية الشعبية ، ومن مضامين هذه الرسالة ما أورده محمد كريم خان فى كتابه الذى يرد فيه على الباب « قم وجهز ما استطعت من الجيش وتوجه إلى شيراز ، إذ نحن متوجهون إليها بعد سفر الحجاز وانتظر أوامرنا » .

ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الأغراض العسكرية والسياسية فى الفتنة المسلحة التى تظهر لنا منهج التخطيط العدائى للأمة الإسلامية .

ولكن بعد وصول الرسالة إليه جمع كبراء بلده فى الجامع الكبير مع مبعوثى الباب ، وقرأ عليهم كتاب الباب ، وبين مافيه من مروق الباب عن

الإسلام ، مع تشويش عبارات كتبه وخروجه عن قواعد الصرف والنحو في العربية والفارسية ، وعد نحو عشرين غلطة نحوية . ومن دعائه من توجه إلى ولاية خراسان ، ولكن لم يتبعه أحد ، غير أن أحد عمال خراسان وهو حسين بشروية افتتن به ، وصار من أقرب أتباعه ، ولقبه الباب بـ ( باب الباب ) ، وكان من الدهاة في التدبير وقوة الجسم .<sup>(١)</sup>

ولنا أن نتساءل : لماذا اقتصر الباب على خراسان وكرمان دون بقية بلاد إيران في أول الأمر ؟

ويتضح لنا أن هذا الاختيار مظهر من مظاهر التدبير والتخطيط العدائى في دعوته للتمويه على الناس ؛ وذلك لما يأتى :-

١ — ترديد الخبر الآتى على الألسنة :

« إذا رأيت الرايات السود من قبل خراسان فأتوها ، فإن فيها خليفة الله المهدى ، ولذلك عندما سارت أول كتيبة من البايية لقتال المسلمين من خراسان بقيادة حسين بشرويه ، كانت راياتهم سوداء . »

٢ — فى كرمان كان محمد كريم خان — فى بلدته ، وكان من أكابر الأسرة الحاكمة فى إيران ، واشتغل بالعلوم الإسلامية ، والتف حوله عدد كبير ، فلو تابع الباب لدخل البايية ربع عدد الفرس تقريبا ، ولكن — كما رأينا — رد محمد كريم على كفر الباب ، وألف كتابا فى ذلك .

كما أرسل الباب دعاة آخرين فى صورة سرية إلى تبريز وغيرها ، وعهد إليهم أن يبلغوا دعوته إلى بسطاء العقول .<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظر : تاريخ البايية — ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق : ١٢٧ .

وأما الباب فقد أخذ بعد ذلك يعد مايلزم لاستحكام أمره وإظهار دعوته ، فوجه دعائه إلى شيراز موطنه وأصفهان ، ولكن لسوء حظه أن توجه الدعاة إلى رئيس الفقهاء الملقب بأبي تراب فأظهروا له الرسالة ، فهاج الرجل من هذا الحادث الخطير ، وأخبر الفقهاء ، وأخبر الوالى ، فاستحضر الوالى دعاة الباب أمام جمهور العلماء وطلب منهم ذكر دعوة الباب ، فلم ينكروا شيئا ، وطلب الفتوى من العلماء فأفتوا بكفرهم ووجوب قتلهم جميعا ، وتم ذلك ، وأرسل الوالى ليخبر حكومة طهران ، وأرسل فى طلب الباب ، فأتى به وأمهله بضعة أيام ، ثم استحضره الوالى سرا ، وبالغ فى إكرامه وتأسف له عما فعله مع دعائه ، فالتبس عليه الأمر وانخدع وتهلل وجهه ، وأخذ هو يلاطف الوالى ويسأله عن سبب الغلظة من دعائه ، فقال الوالى متقنا الحيلة : ( مولاي ، إنه إلى الأمس ماكان يوجد لشخصك المبارك عدو مبین مثلى ، فرأيت فى المنام أنك أنت أيها المولى الجليل حضرت إلى مضجعى وغمرتنى بأصابع رجلك اليمنى ، فقمتم مذعورا ، ثم خاطبتنى : إيه يا حسين خان == إنى أرى نور الإيمان يلوح فى جبهتك ، فاستيقظت خائفا ، وعلمت من هذا أنك المهدي المنتظر .

وهنا . نجد الباب ينتهز الفرصة للتلبيس على الوالى ، فيقول : طوبى لك أيها الأمير إن الذى رأيته لم يكن فى المنام بل كان فى اليقظة ، وإنى بنفسى حضرت مضجعك ، وخاطبتك بما سمعت ؛ لما أعرف فيك . واطمأن الوالى إلى أنه أمام شخصية كاذبة خاطئة ، فنهض وعرض عليه أمواله وجنوده ، ولعله يريد من ذلك أن يقف على حقيقة أمره فى أنه ليس مخرفا ومشعوذا فقط ، وإنما يريد السيطرة والملك عن طريق القوة ، ووجد من الباب قبولا وترحيبا ، ودهش عندما سمع من الباب وعدا بأنه سيجعله سلطانا للروم بعد

امتلاك الدنيا ، فتنهد الوالى مبالغة فى حبكة الموقف ، وأخذ يقول : ماتبعتك طمعا فى الدنيا ، ولا رغبة فى السلطان ، واستمر الوالى فى إكرامه وإكرام أتباعه ، ولكنه طلب من الباب أن يكف دعائه عن الدعوة ، خشية الفقهاء ، حتى يتم استعداده ، ولما أمن الباب تماما واطمأن إلى الوالى ، جمع الوالى الفقهاء وأعيان البلدة وأخبرهم بما فعل ، وطلب منهم الفتوى بعد أن يستمعوا إليه ، وقال الوالى للباب : إن الهدف من الاجتماع دعوة الناس ، فأذعن الباب ، وخرج فى غرور إلى الناس قائلا :

« ألم يأن لكم أيها العلماء أن تنبؤوا الهوى ، وتبوعوا الهدى ، وتتركوا الضلال ، وتسمعوا أقوالى ، وتدعنوا لأوامرى ، إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن فهاكم كتابى « البيان » ، فاتلوه واقرأوه تجلوه أفصح عبارة من القرآن ، وأحكامه ناسخة لأحكام الفرقان ، فاسمعوا وانتصحو وأبقوا على أنفسكم وعلى أطفالكم وعلى أموالكم قبل أن تسل السيوف » .

وهذا الكلام الذى خرج به على الناس يتضمن من أغراضه فى نسخ القرآن ، ومحاولة استمالة العلماء بالترغيب والترهيب ، والتحذير من القتل الذى لا يفرق بين الرجال والأطفال ، إن لم يستجيبوا لدعوته ، وكان يركن فى ذلك إلى الوالى الذى أشبع فيه الغرور بالحيلة التى نسج خيوطها ، وأحكم خطتها ؛ للإيقاع به .

وأما هذا البيان الذى يدعى أنه أفصح عبارة من القرآن ، ففيه من سخف المعانى وركاكة الأسلوب ما يدل على شخصية قائله — إن لم يكن قد صنع له — وإليك بعضا منه .

يقول : ( بسم الله الأَمْع الأَقْدَس ، إننى أنا الله لا إله إلا أنا ، وإن مادونى خلقى ، قل إن ياخلقى إياى فاعبدون ) . وهذا الكلام يدل على أنه يأخذ آيات القرآن الكريم ليعبث بها ، ويضيف ألفاظا ، لامعنى لها من عنده ، يفسد قوة الأسلوب فضلا عن التناقض فى المعانى ، فهو يهدم هذا القول بعد قليل ، فيقول :

( قد خلقتك بك ، ثم كل شىء بقولك أمرا من لدنا ، إنا كنا قادرين ، وجعلتك الأول والآخِر والظاهر والباطن ، إنا كنا عالمين ) فى كلامه الأول ينسب الخلق إلى الله ، وفى كلامه الثانى يعتبر نفسه داخلا فى هذا الخلق ، ويعطى لنفسه من صفات الخالق فى أنه الأول والآخِر والظاهر والباطن ، وهذا تناقض يستمر فى كتابه فلو تناولنا — مثلا — قضية أخرى ، لترى ماذا يقول فى النبوات ، لوجدنا قوله : ( وما بعث على دين إلا إياى ، وما نزل من كتاب إلا علىّ ، ذلك تقدير المهيمن المحبوب ) وينسى هذا الكلام ليقول :

( محمد رسول الله والذين هم شهداء من عند الله ، ثم أبواب الهدى وخلقوا فى النشأة الأخرى بما وعد فى الفرقان إلى أن يظهر عدد الواجد فى الواحد الأول ، فضلا من لدنا ، إنا كنا فاضلين ) (١)

فهو فى هذا الكلام ( الذى لامعنى له ) يهدم ما قاله من قبل ؛ حيث يذكر فى قوله الأول « لادين إلا دينك ، ولا كتاب أنزل إلا عليك » . ثم يقرر فى قوله الثانى أن محمداً رسول الله ، وهكذا يبدو التناقض مع الركاة . ووجه إليه العلماء فى هذا المجلس سؤالا ، قالوا له فيه :

---

(١) انظر : البايون والبهائيون للسيد عبد الرازق الحسينى : ٥٢ وانظر : ذيل الملل والنحل : ٤٩ وانظر : الكاشف : ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

( إن الباب يفترى أنه جاء بدين جديد ، ومن سنة الله أن الشرع اللاحق يأتي مكملا للشرع السابق ، فإن كان الباب صادقا في زعمه فليعين النقض الذي زعم أنه كان في الإسلام ، وليبين ماكمله هو به ) ، فلم يستطع أن يقول شيئا ، فرأى بعضهم أنه مختل في قواه العقلية ، ورأى أكثرهم أنه مرتد وصاحب فتنة عظيمة تستهدف القضاء على الدين ، فصدرت الفتوى بقتله ، فأخذ هو وتابع من أتباعه لتنفيذ القتل ، وهنا تظهر اليد الخفية ؛ لتشير إلى التخطيط العدائي الخفى الذى يمسك بمثل تلك الدمى ويحركها ؛ لتمثل الأدوار التى رسمت لها ، فظهر القنصل الروسى الذى دس قدرا من المال فى يد رئيس الفرقة المكلفة بإعدامه لإنقاذه (١)

فأطلقت الرصاصات الكثيرة المتتابعة فى تابعه ، وأطلقت رصاصه فى الحبل الذى كان مربوطا فيه ، فاستطاع الهروب إلى مكان سجنه ، ولكن الجنود تبعوه وقتلوه .

وبعد استعراضنا لقصة الباب فى دعواه المنحرفة ، نضع أيدينا سريعا على مظاهر التخطيط العدائي ، للإسلام فى الجوانب الآتية :-

- ١ - اختيار المكان المناسب ، حيث كانت إيران مكانا مهيبا لمثل هذه الحركة ؛ لوجود مذاهب الشيعة فيها ، ولقربها من الحدود الروسية .
- ٢ - اختيار من سيقوم بالدور بمواصفات معينة ، يستطيع أن يكذب وأن يصدق نفسه ، ويستطيع أن يخرج عن الحدود المعقولة إلى الشعوذة والخرافة ، وظهر هذا لهم فى نشأة الباب كما مر بنا .

---

(١) انظر : المذاهب المعاصرة : ٢٤٤ .

٣ — اختيار الفكرة المناسبة ، وهذا ظهر فى فكرة الرجعية والمهدى المنتظر ؛ للتلبس على الناس .

٤ — اختيار الزمن المناسب ؛ حيث كان المجتمع الإسلامى فى هذه الفترة قد انفصل سلوكه عن مبادئه وصار يعانى من ضعف شديد .

وهذه الاختبارات تتم بطريق خفى من قبل المخططين ، ولكن تظهر الأيدى المخططة دون إرادة منها فى بعض المواقف ، كظهور القنصل الرومى ، ومحاولته إنقاذ الباب من الإعدام ، ولاختياره مكان سجنه لهروب المؤقت ، حيث يدير إخراجه بعد ذلك ، ويظهر لنا كذلك استمرار المخطط ، ولكن بزعامة شخصية أخرى فيها من الصفات مايناسب هذه الدعوة كشخصية البهاء ، التى سنرى فيما لعبته من أدوار الظهور الأقوى لهذه الأيدى الخفية ، حيث تضاف إلى البهائية أفكار جديدة أكثر وضوحا فى خدمة الاستعمار من أفكار البابية ، وكأن المخطط أراد من البابية أن تكون الوعاء الذى تخطم فيه الأفكار الإسلامية الصحيحة ، لتتبت على أشلائها أفكار تخطم الفكرة الاستعمارية ، مثل وحدة الأديان ، ووحدة اللغة ، وإبطال الجهاد ، والدعوة إلى الإسلام العالمى ، وغير ذلك من أفكار نتناولها فى البهائية .

هذه الأمور — أيضا — تؤكد أن التخطيط لمثل هذه الحركات يبدأ مبكرا ، ولا ينفى هذا أن تستغل حركات مشابهة للقيام بالدور نفسه ، إن نشأت نشأة بعيدة عن أيدى المخططين .

## البهائية

ويستمر التخطيط العدائى للإسلام ، ويتخذ أشكالا أخرى فى فرقة جديدة ، تعد امتدادا للباية ، حيث أن مؤسسها تلميذ من تلاميذ الباب ، وهو حسين على المازنداراني<sup>(١)</sup> ، الذى سمي بالبهاء ، وقد ولد سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ١٨١٧ م ، ونشأ فى طهران نشأة لا تختلف عن نشأة الباب ، وكانت له صلة وثيقة بالباب ، وكذلك بامرأة من أتباع الباب « قرّة العين » ، كان لها دور خطير فى إعلان نسخ الشريعة فى مؤتمر بدشت .

والعلوم التى حصلها « حسين على » يغلب عليها الشعوذة والروحية الخيالية المخرفة ، من القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، وخليط من الخرافات والأفكار الباطنية .

والأيدي المخططة للبهاء كانت أكثر وضوحا فى البهائية منها فى الباية ، حيث تبلورت مجموعة من المبادئ يظهر فيها دور التخطيط ، لصاتها المباشرة بأهداف المخططين ، فمن هذه المبادئ والأفكار :

- ١ — الدعوة إلى وحدة الأديان .
- ٢ — الدعوة إلى وحدة الأوطان .
- ٣ — وحدة اللغة :

---

(١) انظر : الكاشف : ٢٣٨ وخفايا البهائية : ١١١ والبايون والبهائيون :

٤ — الدعوة إلى السلام العالمى وترك الحروب .

٥ — المساواة بين الرجال والنساء .

وبالنظر إلى هذه الأفكار نرى كيف أنها تخلم خدمة مباشرة أعداء الإسلام ، مع صياغة العناوين صياغة قد تجد رواجاً لدى عامة الناس وبسطائهم .

فمثلاً يراد من وحدة الأديان القضاء على الأديان ، وليس توحيد الأديان على ماصح منها ، ويتضح ذلك من كلام حسين على ؛ حيث يقول : ( يا علماء الأمم غضوا الأعين عن التجانب ، وانظروا إلى التقارب والاتحاد ، وتمسكوا بالأسباب التى توجب الراحة والاطمئنان لعموم أهل الإمكان ، وعاشروا مع الأديان بالروح والريحان ) .<sup>(١)</sup>

وواضح من هذا الكلام أن الغاية هى إراحة الناس بعدم التمسك بأى مبدأ ؛ لأن التمسك يجلب للإنسان التعب وقلة الراحة ، ويتضح هذا أكثر فى قوله :

« وعاشروا مع الأديان » ؛ حيث لا يفرق الإنسان بين مبدئه ومبدأ غيره ، ويتضح كذلك فى قول ابنه عباس ، الذى لقب بعبد البهاء ، الذى خلف والده فى زعامة الفرقة : ( يجب على الجميع ترك التعصبات ) ، ويقول فى جواب شخصى لرجل سأله : ( أليس من المستحسن بقائى فى الطريقة التى درجت فيها طول أيام حياتى ؟ فيقول له عبد البهاء : ينبغى ألا تنفصل عنها ، فاعلم أن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة ، فإنك

---

(١) انظر : البهائية — إحسان الهى : ٩٧ .

يمكنك أن تكون بهائيا مسيحيا وبهائيا مسونيا ، وبهائيا يهوديا ، وبهائيا مسلما (١) وبهذا الكلام تتضح الغاية من الدعوة إلى وحدة الأديان .

وتتضح خدمة المستعمر في هذه الفكرة ؛ حيث لا يكون الإنسان على مبدأ يدافع عنه قد يتعارض مع مصالح المستعمرين .

ويتضح ذلك — أيضا — في دعوتهم إلى وحدة الأوطان ، فمعناها عندهم ألا يكون للإنسان جزء مملوك من الأرض دون الآخرين ، ويعنى ذلك : عدم تمسك الناس بأرضهم وبأوطانهم ، فإذا جاء المستعمر إليهم فلا ينبغي أن يقاوموه ، ومن أجل ذلك نرى « حسين على » يقول في صراحة يصل فيها إلى القول بمحو الجهاد :

( البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب ) (٢)

وأما الدعوة إلى وحدة اللغة ، فهي دعوة يراد بها القضاء على اللغة العربية التي تمثل وعاء الإسلام ، ولا يخفى ما في الدعوة إلى توحيد اللغة من سفاهة ، حيث أنها غير عملية ، بل من آيات الله اختلاف الألسنة والألوان .

والدعوة إلى السلام العالمي ليس معناها الوصول بالعالم إلى سلام حقيقي ، وإنما الوصول إلى الاستسلام الذليل ، استسلام الأنعام لمن يقودها ، فيقول في ذلك : **لأن تُقْتَلُوا خير من أن تُقْتَلُوا** ، ويقول : ولا يجوز رفع السلاح ولو للدفاع عن النفس (٣) ، وهو بهذا يقدم خدمة جليلة

(١) خطابات عبد البهاء : ٩٩ وانظر البهائية لإحسان الهى : ٩٨ .

(٢) انظر : البهائية لإحسان الهى : ١١٥ .

(٣) المرجع السابق : ١٢٥ .

للمستعمر ، حيث لا يواجه بروح جهادية ، ولا سلاح مرفوع ، ولا بمبادئ تزعجه .

وأما الدعوة إلى المساواة بين الرجال والنساء ؛ فلا يخفى مافيهما من إفساد اجتماعي ، حيث لا توجد الضوابط في المجتمع ، ولا تعرف الوظائف التي تناسب الرجال والوظائف التي تناسب النساء ، ويكون هذا الأسلوب أقرب الطرق إلى تحطيم المجتمعات عن طريق التحلل وإفساد المرأة وتمكينها وإفساد الرجال .

هذه هي الأفكار التي دعى إليها « حسين علي » حتى مات في عكا سنة ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩٢ م ، حيث أوصى بالأمر بعده لولده الذي لقبه بعبد البهاء ، واسمه « عباس » ، وقد سار عباس علي طريقة أبيه ، ولم يستطع أن يخفى صلته بالمستعمر ؛ حيث ذهب وتنقل في مدن الغرب يمدحهم ويتقرب إليهم ، وكان من أساليبه التلون بالألوان المناسبة لإيهام الناس بصلاح دعوته ، فيقول الأستاذ محمد عبده<sup>(١)</sup> « أنا لم أفهم من عباس عبد البهاء شيئا ، وإنما صرح لي أن قيامه لإصلاح مذهب الشيعة ، وتقريبه من مذهب أهل السنة ، وكان يحضر معه الجمعة ، على الرغم من أن والده أبطل الجمعة وخطب مرة في لندن فقال :

( الناس قد نسوا تعاليم بنى إسرائيل وتعاليم المسيح وغيره من معلمى الأديان ، فجدها البهاء ) كما خطب في نوادي لندن وكنائسها ومجامعها يناقشهم في خطبه ، ويبين صلته القوية بمن صنعوه وساندوه من الانجليز ،

(١) انظر : خفايا الطائفة البهائية : ١٢٢ والكاشف : ٢٤٠ .

فيقول في إحدى خطبه :

إن مغناطيس حبكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة ويقول :  
« أصبحت المدينة الغربية متقدمة عن الشرقية ، وأصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين <sup>(١)</sup> ولا يخفى — بعد هذا — دور المخططين الذين يقفون وراء المسرح أو في صندوق الملحن الذي يزود القائمين على هذه الخطة من أصحاب الحركات الهدامة .

وبعد هذه الرؤية للبهائية مع البابية ، نرى تعدد المخططين للحركات الهدامة داخل المجتمعات الإسلامية ، ولكن الهدف واحد ، وقد تنوع الأساليب مع تنوع الظروف ، فعلى الرغم من أن البهائية فرع عن البابية ، وحركة تزعمها تلميذ للباب ؛ إلا أن المخطط للبهائية هم الانجليز ، والمخطط للبابية هم الروس ، والغاية — كما أسلفنا — واحدة ، وهي محاولة تدمير هذه المجتمعات ، وجعلها سلسلة القيادة لهؤلاء الأعداء .



---

(١) انظر : الكاشف : ٢٤٣ .

## القاديانية

ويظهر أثر التخطيط العدائي للإسلام بصورة أوضح فى القاديانية ، حيث تم اختيار المكان المناسب أيضا ، والرجل الذى يقوم بالمهمة كما تم اختيار الأفكار التى تناسب ، وإن كان اختيار الأفكار فى هذه الحركة ( مكشوفاً ) وظاهراً بصورة أوضح من الأفكار السابقة فى البابية والبهائية لخدمة المستعمر .

فاختيار الهند باعتبارها مجمعا لمذاهب متضاربة ومعتقدات متباينة وأفكار متناقضة كان مناسباً لتبنى حركة القاديانية ، وأما الرجل الذى سيقوم بهذه المهمة فهو ميرزا غلام أحمد القاديانى ؛ فإنه مهياً فى شخصيته التى عرفت بالتطلع إلى تبوء الزعامة الدينية والاستيلاء على العالم الإسلامى باسم النبوة ، كما عرف بالخلل العقلى ، وكذلك عرف بالولاء والخدمة للحكومة البريطانية .

وأما الأفكار التى تصلح للتمويه على الناس فقد كمنت فى أول الأمر فى فكرة الإصلاح ، التى تدرج بعدها إلى أن روح المسيح قد حلت فيه ، وأن مايلهمه كلام الله كالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل ، وأن المسيح سينزل فى آخر الزمان فى قاديان ، وأن قاديان هى البلدة المقدسة المكنى عنها فى القرآن بالمسجد الأقصى ، وأن الحج إليها فريضة ، وأنه قد أوحى إليه بآيات ترهب على عشرة آلاف آية ، وأن من يكذبه كافر ، وأن القرآن ومحمد وسائر الأنبياء قبله قد شهدوا له بالنبوة ، وقد عينوا زمن بعثته ومكانها إلى غير ذلك من الضلالات الشنيعة .

وقد ولد هذا الضال فى قرية قاديان بالهند سنة ١٨٣٩ م<sup>(١)</sup>، وتلقى فيها مبادئ العلوم ومنها الطب والمنطق والفلسفة ، واشتغل بالوظائف فترة من الزمن .

وقد أصيب فى شبابه بلوثة عقلية ونوبات عصبية ، وكان يتداوى من مرضه بالأدوية والمواد المنكرة ، ويقول : لقد ظلت منذ حادثة سنى وقد ناهزت الستين الآن أجاهد بلسانى وقلمى ؛ لأسرق قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية ، والنصح لها ، والعطف عليها ، وأنفى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهال المسلمين ، التى تمنعهم من الإخلاص للإنجليز ، وأنا مؤمن بأنه كلما كثر عدد أتباعى قل شأن الجهاد ، ويلزم الإيمان بى ، وأنى مسيح ، أو مهدي ، إنكار الجهاد ، وقد ألفت كثيرا فى تحريم الجهاد ضد الإنجليز الذين أحسنوا إلينا ، والذين تجب علينا طاعتهم بكل إخلاص .

وهذه الأفكار كلها قد ضمنها كتابه « براهين أحمدية » ، « ورسالة التبليغ » وكلها كفر وافتراء على الله تعالى وعلى رسوله ، وهى نفسها التى يدعو إليها أتباعه الآن .

ونظرا لخطورة هذه الأفكار ، واستمرار الدعوة إليها ، والإبقاء على روح التبعية ، واستساعة فكرة الاستعمار ، والولاء له ، نعرض بعض الشهادات للعلماء المعاصرين للدعوة ، والذين ردوا عليها ، وكشفوا سؤاتها ، من أهل الهند . فمن هؤلاء الأستاذ أبو الحسن الندوى الذى يعتبر قضية

---

(١) انظر : القاديانية : ٥ .

القاديانية قضية تهمة كل مسلم في أى بلد كان ، لأنها قضية لها اتصال كبير ببعض مبادئ الإسلام الأساسية ، ويخشى أن تستفحل هذه القضية يوما من الأيام لو تغافل عنها المسلمون ، فتصبح مصدر تهديد للعالم الإسلامى كله .

وهذه المسألة قد شغلت الفكر الإسلامى فى باكستان بحق ، وهى مسألة مقلقة تواجه الكيان الإسلامى ، والذين يعيشون خارج تلك الأرض قلما يعرفون خطرها . إن هذه المسألة ليست رمزا للطائفية الضيقة أو العصبية الدينية كما يتخيله كثير من الناس ؛ بل هى فى صميم المصلحة الإسلامية وحياة المسلمين ، وقد تحقق علميا وتاريخيا أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية ، وقد أهدم بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد الشهير الإمام أحمد بن عرفان سنة ١٢٤٠ هـ ، وكيف ألهب شعلة الجهاد وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية فى صدور المسلمين فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، وكيف التف حوله آلاف من المسلمين ، عانت منهم الحكومة الإنجليزية فى الهند مصاعب عظيمة ، وكانوا موضع اهتمامها ، ورأت كذلك محمد أحمد السودانى يقوم فى السودان باسم الجهاد ، فكاد يقضى على الحكم الإنجليزى فى السودان ، وكانت دعوة جمال الدين الأفغانى تنتشر فى العالم الإسلامى ، وعرفت حكومة الإنجليز هذا ، ودرسته ، وعرفت أن الدين هو الذى يحرك المسلمين ؛ ولذلك رأوا أن يكون التأثير عليهم باسم الدين أيضا ، ولذلك اختاروا رجلا يقوم بمنصب دينى يجمع حوله بعضا من المسلمين ، ويخدم سياسة الإنجليز ، وكان هذا الرجل هو غلام أحمد القاديانى ، الذى اجتمعت فيه ثلاث خصال (١) .

---

(١) انظر : القاديانية : ١٩ .

أولاهما : الطموح إلى تبوء الزعامة الدينية ، والاستيلاء على العالم الإسلامي باسم النبوة .

وثانيهما : الخلل العقلي ، وله شواهد وبيانات تفيض بها كتبه ، وقد تواتر ذلك عنه واستفاض .

(١) وثالثهما : الأغراض السياسية وخدمة الحكومة البريطانية ، وتدرج القادياني من دعوى التجديد إلى المهدوية ، ومن المهدوية إلى المسيحية ، ومن المسيحية إلى النبوة ، حتى تم ماأراده الإنجليز .

وقدموا له الحماية ومكنوه من نشر دعوته ، ولذلك ظل حافظا لعهدهم معه ، حيث صرح أنه غرس ماغرسه الحكومة الإنجليزية ، وذلك في التماس قدمه إلى حاكم مقاطعة بنجاب الإنجليزي يوم ١٤ فبراير عام ١٨٩٨ م وقال .

أيضا لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الإنجليزي من الكتب والنشرات ما لوجمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم<sup>(٢)</sup> .

وتكرر هذا في كلامه كثيرا ، ليجدد العهد لأسياده من الإنجليز ، وبقيت الجماعة القاديانية في عهد مؤسسها وبعده في معزل عن جميع

---

(١) انظر : القادياني والقاديانية : دراسة وتحليل للأستاذ أبو الحسن الندوي ص ٦٧ وما بعدها .

(٢) انظر القاديانية : ٢٠ — ٢١ نقلا عن ترياق القلوب تأليف غلام أحمد القادياني :

الحركات التحررية ، مقتصرة على إثارة المناقشات والمباحثات حول موت المسيح ، وحياته ، ونزوله ، ونبوة غلام أحمد ، مما لا اتصال له بالحياة العامة والمشاكل التي كان يعيشها العالم الإسلامي مع المستعمرين الأوربيين ، وعلى رأسهم الإنجليز ، فيقول أبو الحسن الندوي « وقد فزع لهذه الفتنة علماء الإسلام وقادة الفكر في الهند ، وكان في مقدمة المحاررين لها الشيخ محمد حسين البتالوي ، ومحمد علي المنكيرى ، مؤسس ندوة العلماء ومن هؤلاء المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد إقبال ، الذى صرح فى مؤلفاته بأن القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ — ، ومؤامرة ضد الإسلام وأن القاديانية ليست جزءاً من الأمة الإسلامية العظيمة ، قال إقبال فى رسالته وجهها إلى كبرى صحف الهند الإنجليزية التى أثارت هذه المسألة : إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد ﷺ — وجاء فى رده على كلمة نهرو رئيس الهند ( الذى تساءل : لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية عن الإسلام ، وهى طائفة من طوائف الإسلام الكبيرة ؟ والجدير بالذكر أن نعرف أن الزعماء المواطنين فى الهند قد رحبوا بالفكرة القاديانية ، لأنها تفيض على الهند بالقداسة ، وتولى المسلمين شطر الهند عوضاً عن مكة ، فيتخذونها قبلة ومركزاً روحياً .

وكان لبعض الصحف الهندوكية أن تتعاطف مع القاديانيين ، فتنشر المقالات فى تأييدهم ، وتبين للقراء أن الخلاف فى باكستان بين القاديانيين والمسلمين صراع وتنافس بين النبوة العربية وأتباعها والنبوة الهندية وأتباعها ) فقال الدكتور إقبال رداً على كلمة نهرو : إن القاديانية تريد أن تنحس من أمة النبى العربى ﷺ — أمه جديدة للنبي الهنذى ، كما يشرح

إقبال أهمية عقيدة ختم النبوة ، وأنها حراسة لكيان المجتمعات الإسلامية (١)

ومن الذين حاربوا هذه الحركة بقوة في باكستان الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله ، حيث بين سوءاتها ، وفند أقوالها ، وبين أن تكفير الأمة للقاديانيين ليس من نوع تكفير سائر الطوائف المختلفة بعضها بعضا ، وإنما هي طائفة خارجة خروجاً كلياً عن الإسلام ، ومن الذين تصدوا لذلك — أيضاً الشيخ محمد الخضر حسين ، وغير هؤلاء من العلماء .

ومن خطر هذه الفرقة : أنها تحاول أن تثير أفكارها الهدامة من حين إلى آخر ، فقد طالعنا مجلة المجتمع في العدد ٦٤٧ في ١٧ صفر ١٤٠٤ هـ بمقال ذكر فيه النشاط القادياني ، وأنه وصل إلى الخليج ، ولذلك يحتاج الأمر إلى تنبه ، لاستمرار مواجهة هذه الأفكار الضالة .

وبعد :

فهذه دراسة للفرق المنحرفة تبين لنا فيها مظاهر التخطيط العدائي للإسلام وللمجتمعات الإسلامية ، المتمثلة في اختيار القائمين عليها ، والأفكار التي تؤسس عليها ، والبيئات التي يظهر فيها ، والأفراد الذين توجه إليهم الدعوة ، والأساليب التي تتبع في ذلك ، خدمة لأعداء الإسلام في محاولة احتواء المجتمعات الإسلامية .

وبعد تناولنا لصور التحديات قديماً وحديثاً ، نتعرف على أسبابها ، وكيفية مواجهتها .

---

(١) انظر : القاديانية : ٢٣ — ٢٦ .



الفصل الرابع  
أسباب التحديات ومواجهتها

Handwritten text, possibly a name or title, centered within the decorative border.

Handwritten text, possibly a name or title, centered within the decorative border.

## أسباب التحديات ومواجهتها

أسباب التحديات قديما وحديثا :

لقد أثرنا في بداية حديثنا عن التحديات أن المفاجأة لم تكن سببا من أسباب التحديات لرسول الله في بداية الدعوة ، ولذلك علينا أن نتعرف على الأسباب الحقيقية وراء هذه التحديات ، والتي نجملها فيما يلي : —

١ — الجهل والجمود العقلي : فإن الإنسان قد يعادى مايجهل ، وهذا الجهل من الإنسان في بداية الدعوة قد يكون له مايبرره ، ولكن الجهل الحديث جاء نتيجة عمل المستشرقين والمستغربين في عملية التضليل التي قاموا بها لعرض الإسلام أمام الناس معكوسا ومشوها ، فأصبح أمام هؤلاء المضللين مجهولاً في حقائقه ، وكان هذا من أسباب التحديات لمن عرفه على هذه الصورة خارج المجتمعات الإسلامية وفي داخلها لدى بعض الأفراد .

وهذا الجهل يسبب جمودا عقليا ، لايسمح لصاحبه بالتعرف الصحيح على حقائقه ، فيشغل نفسه بمهاجمته دون تدبر .

٢ — الإلف للموروث عن الآباء ، وعدم الرغبة في التغيير ، وخاصة إذا كان هذا الموروث قد مضى عليه زمن طويل . وهذا كان من الأسباب قديما ، وكذلك من الأسباب في التحديات المعاصرة ، لما توارثه الأوروبيون ومن تبعهم عن أساتذة الاستشراق .

٣ — المقاييس الجاهلية التي تقدر الإنسان بما لديه من مال ، وبما ينتمى إليه من عصبية ، حتى أن المشركين قد حكموا هذه المقاييس في أمر النبوة ، فالنبي في نظرهم لا يخرج عن هذه المقاييس ، يتضح هذا في قول الوليد بن المغيرة :

( أينزل على محمد وأترك ؟ وأنا كبير قریش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقف ، ونحن عظيمي القرينين ؟ ونزل في ذلك قول الله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرينين عظيم ، أ هم يقسمون رحمت ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ (١)

كما تظهر هذه المقاييس حديثا في نظرة الاستعلاء الأوربية ، التي تجعل الأوربي سيدا ، وغيره تابعا له ، للأول أن يفكر ، وعلى الآخر أن ينفذ ، والعالم الأوربي عالم السادة ، وأما العالم الثالث فمحتقرووحشى .

يتضح ذلك في مقالة رجل أوربي عاد من مستعمرة أفريقية ، فسئل عن الناس فيها ، فقال : إنهم متوحشون ، ولما سئل عن مظهر هذا التوحش ، قال : تصوروا أن رجلا منهم عضنى وأنا أقتله . فالقتل من الأوربي أمر عادى ؛ لأنه السيد ، وأما العضة — ولو كانت دفاعا عن النفس — فهي مظهر من مظاهر التوحش .

هذه النظرة وهذا المقياس الجاهلى كانا من أسباب التحدى .

٤ — الترف والشهوات : وتقف هذه الشهوات عقبة في طريق البناء

---

(١) الزخرف : ٣١ — ٣٢ .

العملى للنفس وللمجتمع ، وإلرساء القيم الخلقية الفاضلة ، ولذلك حرص عليه أعداء الإسلام ، ففى بروتوكولات صهيون « علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية ، فىحل الفساد ، ويعم الكفر ، وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فتسهل علينا السيطرة <sup>(١)</sup> .

٥ - الخوف من ضياع المكانة فى قلوب الناس ، وفوات المغانم المادية ، فإن المشركين كانوا يتمتعون بهيبة فى قلوب القبائل ، نظرا لقيامهم برعاية الأصنام وخدمتها ، وكانوا يحصلون من وراء ذلك مغانم مادية ، فخافوا من ضياعها :

﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا . أو لم نمكّن لهم حرما آمنا يجيبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وأما فى عالمنا المعاصر ، فإن محاولة احتواء العالم الإسلامى ونهب ثرواته لا يتم إلا بتلويب شخصية أبنائه ، وقتل روح الإسلام فىهم ، كما فى قول نابليون السابق ذكره .

٦ - فساد التصورات فى الألوهية وفى النبوة ، فالمشركون تعجبوا من التوحيد الذى سيحل محل الآلهة المتعددة ، فعندما قال لهم النبى - ﷺ - : « كلمة واحدة تعطونهاها ، تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم » . قال له أبو جهل .

(١) انظر : شبهات التفريب : ٢٤ .

(٢) القصص : ٥٧ .

وأبيك وعشر كلمات ، قال « تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ماتعدون من دونه ، فصفق الحاضرون بأيديهم — وكانوا في مشهد احتضار أبي طالب — وقالوا : أتريد يا محمد أن نجعل لهم الآلهة إلها واحدا ! إن أمرك لعجب ويحكى القرآن الكريم قولهم هذا :

﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ماسمنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾ (١)

وكذلك فساد التصور فى النبوة ، حيث ربطوها بالمقاييس الجاهلية السابق ذكرها ، كما أنهم لم يتصوروا أن يكون الرسول رجلا ، بل ينبغي أن يكون ملكا . قال تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا : لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ (٣) وهذا الفساد فى التصور له وجوده المعاصر فى بقايا اليهودية المحرفة والنصرانية المحرفة ، فى تصوراتهم الخاطئة فى الألوهية والنبوة ، وكذلك فى أقوال الفلاسفة الذين بحثوا قضايا الغيب بعيدا عن هداية الوحى .

## ٧ — الحقد والحسد والمنافسة والاستكبار : وهذه من الأمراض النفسية فى

(١) سورة (ص) : ٤ — ٧ وانظر : السيرة لابن هشام ج٢ ص ٥٨ — ٦٠ .

(٢) الأنعام : ٨ ، ٩ .

(٣) الإسراء : ٩٥ .

كل عصر ، والتي تقف حاجزة لأصحابها عن الانتفاع بالحق ، وتحديه ، وهذا مادفع اليهود والنصارى وكذلك المستشرقين إلى الجحود للحق الذى عرفوه ، سواء عن طريق الوصف الذى جاء فى التوراة والانجيل ، أو عن طريق الدراسة التى وقف عليها المستشرقون .

قال معاذ بن جبل وبشر بن البراء لليهود : يامعشر يهود ، اتقوا الله ، وأسلموا ؛ فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن على شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفوه لنا بصفته : فقال أحدهم . ماجاءنا محمد بشيء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره لكم .<sup>(١)</sup> قال تعالى ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾<sup>(٢)</sup>.

٨ — اعتلاء الطبقة البديلة للأماكن المؤثرة داخل المجتمعات المسلمة ، وقد ساعدت فى إحداث الهزيمة النفسية ، التى تجعل المرء يحتقر نفسه ، ويكبر علوه ويعجب بثقافته ، ويميت المقومات الثقافية الذاتية ، ليصبح مهياً لتأثير التحديات فيه .

### مواجهة التحديات قديماً وحديثاً :

وبعد تناولنا لصور التحديات قديماً وحديثاً والوقوف على أسبابها ، نعرض الآن لأهم عناصر المواجهة ، ونبدأ بذكر المواجهة منذ عصر النبى —

(١) السيرة لابن هشام : ( ٢ / ١٩٦ ) .

(٢) البقرة : ٨٩ .

ﷺ — ، لنفيد منها في حديثنا عن المواجهة المعاصرة .  
ونستطيع أن نحدد ملامح هذه المواجهة في العناصر الآتية :

## ١ — الصبر ومفهومه :

وهو الخلق الذي تحلى به رسول الله — ﷺ — وأصحابه في مواجهة صور التحديات على اختلاف وجوها ، ونظراً لأهمية هذا الخلق في المواجهة اهتم به القرآن الكريم ، فأمر به رسول الله — ﷺ — قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ <sup>(١)</sup> وأمر الرسول — ﷺ — به أصحابه ، واستفاض ذلك في كتاب الله تعالى وفي توجيهات رسوله — ﷺ — ، ثناء على الصبر والصابرين ، وبيانا للوجوه التي يتأكد فيها هذا الصبر .

فلما اشتدت ضراوة قريش بالمستضعفين ذهب أحدهم ، وهو خباب ابن الأرت إلى رسول الله ﷺ يستجد به ، وكان جواب رسول الله — ﷺ — التحلى بالصبر في مواجهة هذه الشدائد ، كما صبر المؤمنون الأولون . قال خباب : شكونا إلى رسول الله — ﷺ — ، وهو متوسد برده في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟

فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ، فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن

---

(١) الأحقاف : ٣٥ .

الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » (١).

وكانوا لا يفهمون معنى الصبر الذى أمروا به على أنه استكانة وتسليم بالأمر الواقع ، وإنما كان مصحوبا بالحركة وسلوك سبيل الخروج من دوائر الفتنة على القدر المستطاع ، فخرج الرسول - ﷺ - إلى الطائف ، وعرض نفسه على القبائل ، وفي الموقف ، ومما قال : ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربي (٢)

وكانت الحركة - أيضا - فى هجرة أصحاب النبى - ﷺ - إلى الحبشة مرتين ، وكانت كذلك فى تخليص المستضعفين من العبيد بالشراء والعق من ذوى اليسار من المسلمين ، وكانت كذلك فى طلب الجوار ، كما تمثلت فى الدفاع عن النفس عند الاستطاعة ، فكان أصحاب رسول الله - ﷺ - إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله - ﷺ - فى شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ (٣) رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه ، فكان أول دم أهرىق فى الإسلام فالصبر كان ثباتا واستمرارا فى الدعوة ، وتحملا لما يصيب المؤمنين فى

(١) انظر : فقه السيرة للغزالي : ١٠٩ .

(٢) انظر : فقه السيرة للغزالي : ١١١ .

(٣) انظر السيرة لابن هشام : ( ١ / ٢٧٥ ) .

سبيل الله مع طرق الخروج السابقة .

٢ — بيان وجه الحق أمام من لا يعرف الرسول الكريم ، ظهر ذلك في حديث « جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي عندما أراد وفد قريش أن يشوه حقيقة الدعوة ، وأن يصف الرسول بما ليس فيه أمام النجاشي ، فكانت مقالة جعفر تصحيحا لهذا التشويه ، وهذا التحدى ، كما أن القرآن الكريم دافع عن رسول الله ﷺ — ورد محاولات هذا التشويه .

٣ — مواجهة التشكيك والشبهات ، بذكر الشبهة إجمالا ، والرد عليها تفصيلا ، وهذا يفيدنا في مواجهتنا المعاصرة ، حيث لا ينبغي أن نشغل عقول الناس بتفصيل الشبهة ، وإنما يكون التفصيل بالرد الذى يأتى بالجواب الشافى على جوانب الشبهة ، مع عدم افتراض الشبهات وتشقيقها .

٤ — الرد العقلى الموضوعى على مآثره أعداء الإسلام ، وذلك ببيان وجوه الإعجاز فى كتاب الله تعالى .

٥ — الحرص على تصفية المجالس من اللغو .

٦ — بيان فساد العقيدة والتصورات الخاطئة ، وبناء التصور الصحيح فى نفوس المؤمنين .

٧ — تقوية النفس أمام الإغراء والإرهاب ، والحزم ورفض المذاهنة ،

٨ — الحذر من تلبيس الأعداء ، والمجادلة بالتى هى أحسن .

٩ — التحذير من وسائلهم فى التفريق بين المؤمنين .

١٠ — معرفة صفات المنافقين ، وتجنبهم ، والحذر منهم .

١١ — إعداد النفوس وبنائها على القوة المعنوية ، والإعداد الحربى ،

لمواجهة القوى المسلحة ، وكذلك إعداد المستطاع من القوة المادية من

أسلحة وغيرها .  
بما عند العدو كما كانت في دعوة المحاربين في الإسلام وبيان حقائقه  
امامه .

١٢- الحذر والتأهب لمواجهة القوى الخارجية ، وإحباط خطط  
هجومهم .

هذه جملة من عناصر المواجهة قديما ، والتي ينبغي أن نفيذ منها في  
مواجهتنا لصنوف التحدى المعاصرة ، وعلى قدر ضخامة هذه الصور ينبغي  
أن يكون الاهتمام بالمواجهة ، وذلك عن طريق : —

١ — البناء الصحيح والمتكامل للنفس المسلمة وللمجتمع المسلم ،  
وهذه المهمة ليست سهلة ، ولا ينبغي أن يقوم بها فرد ولا مؤسسة علمية  
وحدها ، وإنما تتضافر فيها جهود متعددة وتخصصات متنوعة في فروع  
المعرفة ، لوضع خطة البناء للطفل وللشاب ، وللمرأة وللرجل ،  
وللتخصصات المهنية .

٢ — التكامل في هذا البناء داخل المجتمعات المسلمة ، حتى نجنب  
أنفسنا التضارب وممارسة الهدم والبناء في وقت واحد .

٣ — أن نقوم بدورنا في الغزو الفكرى الإيجابى الصالح ، والذي  
يهدف إلى : —

أ — تعريف الآخرين بحقائق الإسلام ، حتى يتحرر من تضليل المستشرقين  
والمستغربين .

ب — الرد على الشبهات — على حجمها — ردا موضوعيا .

٤ — البناء المادى القوى الذى يخرج المجتمعات المسلمة من دائرة التخلف والتبعية ، ويجعل لها قوة تكسبها الاحترام لدى الآخرين .

٥ — منح الإنسان المسلم الثقة ، وتبصيره بوظيفته فى الحياة ، وذلك بكفالة انطلاقة الرشيدة ، لتحقيق طموحاته ، وصيانة كرامته ، وتجنبيه التجاوزات التى تحد من ذلك ، أو تشعره بالإهانة وعدم التقدير .

٦ — التخلص من آثار هذه التحديات فى العودة إلى تشريع الله وهدية فى نظمنا .

٧ — التخلص من آثار هذه التحديات فى تفريق الأمة فى ثقافتها ، وفى علاقتها ، فنكون لأنفسنا إطارا ثقافيا صحيحا ، لاخروج عنه ، وفى دائرته يتسع المجال لوجهات النظر غير المفرقة .

٨ — تحقيق مفهوم الأمة الواحدة ، التى لاتعرف الحدود ، ولا تعدد الجنسيات ، ولا التفاضل فيما بينها ؛ إلا على أساس التقوى .

٩ — أن تأخذ هذه المواجهة الجانب العملى التطبيقى ، وليس مجرد كلام لا يتبعه عمل .

هذه أهم عناصر المواجهة التى تجعل أثر التحديات المعاصرة ضعيفا ، ولا تحقق طموحات العدو فىنا .

ويبقى بعد هذه الدراسة لصور التحديات قديما وحديثا ، والوقوف على أسبابها وكيفية مواجهتها ؛ أن نسأل أنفسنا سؤالا لايمكن أن يسأله غيرنا ، وهو : لماذا يتعرض أهل الحق إلى هذه التحديات ؟ ولماذا لاينتصر أهل الحق أمام أى مواجهة بنصر الله سبحانه ؟

ولقد بين القرآن الكريم حقيقة هذا الأمر في قوله تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن يبلو بعضكم ببعض ﴾<sup>(١)</sup> فلو شاء الله لما تعرض أهل الحق لهذا ، ولكن شاء أن يبلو بعضنا ببعض ، وإلا ، فكيف يتم إخراج النماذج القوية التي تؤسس عليها الأمة من بين ركام الجاهلية ؟

وكيف كانت تظهر الدعوة ، ويحرص المؤمنون عليها ، بحملها والتضحية في سبيلها ؟ وكيف ترفع الدرجات ، ويتخذ الشهداء ؟ إن كل هذا يدعونا إلى التعرف السريع على سنة الله في الصراع بين الحق والباطل .



---

(١) سورة محمد الآية : ٤ .

## سنة الله في الصراع بين الحق والباطل

من تدبرنا لكتاب الله تعالى نستطيع الوقوف على سنة الله — جل شأنه  
في الصراع بين الحق والباطل .

يقول الله تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضكم  
ببعض ﴾ (١)

وواضح من هذا القول الحكيم أنه يجيبنا عن التساؤل الذي يمكن أن  
يطرح ، لماذا يتعرض أهل الحق لتحديات خطيرة في أنفسهم وفي أموالهم ؟  
ولماذا لا ينتصر الله للحق بلا مغارم تلحق أهله ؟

فلو يشاء الله لانتصر من الكفار والمعاندين دون حاجة إلى هذا الصراع  
بين أهل الحق وأهل الباطل ، ولكن اقتضت مشيئته أن يبلو بعض الناس  
ببعض ، ليميز الخبيث من الطيب ، وليعلم المجاهدين والصابرين الذين  
يحسنون الانتساب إلى الحق وقضاياه ، وليظهر أهل الادعاء والمحسوين على  
الدعوة ظلما وزورا ، وليتخذ من عباده المؤمنين شهداء ، يرفع درجاتهم في  
الآخرة ، ويسعد بهم أمتهم وليجزئهم حلاوة ما بذلوا في سبيله الأنفس  
والأموال ، ويعضون عليه بالنواجذ ، وليعتزوا به ، وليقدموه كأثمن ما يكون  
هداية للعالمين ، وغير ذلك من الغايات التي لاتأتي إلا بالجهاد والمجاهدة .

---

(١) سورة محمد آية : ٤ .

يقول الإمام الطبرى فى تفسير هذا : يقول الله تعالى ذكره : هذا الذى أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم فى حرب ، وشدهم وثاقا ، بعد قهرهم وأسرهم ، والمن والقتاء ، حتى تضع الحرب أوزارها هو الحق الذى ألتزمكم ربكم ، ولو يشاء ربكم ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه عاجلة ، وكفاكم ذلك كله ، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم عقوبتهم عاجلا إلا بأيديكم أيها المؤمنون ليبلو بعضكم ببعض ، فيقول : ( ليختبركم بهم ، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم ، ويتعظ من شاء منهم ، بمن أهلك بأيديكم ، حتى ينبى إلى الحق ) (١).

ويقول الطبرى : وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، عن قتادة : ولو يشاء الله لانتصر منهم ، أى والله بجنوده الكثيرة كل خلقه له جند ، ولو سلب أضعف خلقه لكان جندا . (٢).

ويقول القرطبي فى معنى ذلك : لانتصر منهم أى : أهلكتهم بغير قتال ، وقال ابن عباس : لأهلكهم بجند من الملائكة ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، أى أمركم بالحرب ، ليبلو ويختبر بعضكم ببعض ، فيعلم المجاهدين والصابرين . (٣).

وترتبا على هذا المعنى يمكن أن نضع أمام أعيننا الجوانب الآتية فى

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن — الطبرى : ٢٥ / ٢٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٢٢٩ — ٢٣٠ .

## الصراع بين الحق والباطل :

أولاً : الحق منصور دائماً ، وله العاقبة فى المواقف كلها .  
(١) ويقول الله تعالى : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ .  
ثانياً : إن انتسب إلى هذا الحق رجال ، وصار له أهل فإن الله تعالى يبلى أهل الحق وأهل الباطل ، بعضهم ببعض ، ومظاهر الابتلاء لأهل الحق فى الأمور الآتية :-

- ١ - هل أهل الحق مؤمنون بربهم وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وقضاء الله وقدره إيماناً صحيحاً نافياً ؟
- ٢ - هل هم مستجيبون لله ولرسوله فى شئون حياتهم كلها ؟
- ٣ - هل قدموا لنصرة حقهم ما يملكون من الأنفس والأموال ؟
- ٤ - هل أعدوا ما استطاعوا من قوة بلا بخل مادية أو جبن نفسى ؟
- ٥ - هل لجأوا إلى الله ، واستغاثوا به ، وتيقنوا أن النصر منه وحده ؟
- ٦ - هل طهروا أنفسهم ومجتمعهم من مظاهر المعاصى والمخالفات الشرعية ؟
- ٧ - هل وصلوا بحالهم الطيب إلى أهلية التمكين فى الأرض ؟
- ٨ - هل عرفوا حقيقة عدوهم ، وكل ما يتعلق به ؟
- ٩ - هل اعتزوا بدينهم ، فبسطوا حقائقه ، وفندوا ما أثير من شبهات حوله ؟

إن كانت الإجابة عن هذه الأسئلة وما يدور فى فلكها بنعم ؛ فإن سنة

---

(١) الأنبياء : ١٩ .

الله عندئذ أن يكتب لهؤلاء النصر والتمكين ، وإن قل عددهم ، وكثر عدد عدوهم ، أو قلت عددهم ، وتنوع عددهم وزادت ، يقول الله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (١)

ويقول جل شأنه : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ (٢)

وإذا لم تكن الإجابة بنعم ؛ فإن سنة الله في ذلك : أن يدع الفريقين يتصارعان ، وتكون الغلبة لمن كان أكثر عددا ، وأكثر خبرة في فنون الحرب ، لأن المنتسبين إلى الحق في مثل هذه الحالة قد تساوا مع أهل الباطل في المخالفات التي تسخط الله عليهم فلا وجه للتأييد ، إلا إذا غيروا ما بأنفسهم ، وعلى هذا كان فهم أصحاب رسول الله ﷺ (٣) وعلى صفحات التاريخ سجلت الوقائع التي تؤكد هذه الحقيقة .



(١) سورة محمد : آية ٧ .

(٢) سورة غافر : آية ٥١ .

(٣) انظر : جند الله في معارك رمضان د . محمد رأفت سعيد .



## الخاتمة

وبعد هذه الدراسة أوجز ما تناولته فيها من بداية التحديات ، وكيف كانت خروجاً عن المنطق السليم ؛ حيث يواجه المعروف بالكران ، ويقابل الإحسان بالسوء ، وكان الأولى أن تذلل السبل لمن جاء ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، واتخذت هذه التحديات صوراً منها :-

- ١ - الفتنة في الأبدان : تعذيباً ، وتمثيلاً ، وقتلاً ، وفي الأموال مصادرة ، ومقاطعة ، ومغلاة على المسلمين .
- ٢ - إثارة الشبهات ، ومحاولة التشكيك في شخصية الرسول ﷺ - فيما يدعو إليه .
- ٣ - الإغراء .
- ٤ - المساومة .
- ٥ - السخرية والهمز واللمز .
- ٦ - أهل الكتاب من اليهود والنصارى .
- ٧ - النفاق .
- ٨ - القتال .
- ٩ - القوى الخارجية .

وهذه تمثل صوراً قديمة استمرت على مر التاريخ ، وأخذت أشكالاً معاصرة ، منها : الفتنة السابقة ، وكذلك إثارة الشبهات ، وتخصيص لذلك فريق المستشرقين ومن تبعهم من المستغربين ، وكيف أعانوا التبشير ، ومهدوا لنقل التجارب المعوقة للمجتمعات المسلمة كالعلمانية ، وتضليل

المرأة ، وكيف استعمل في هذه الشبهات التأويل الفاسد للنصوص والمواقف ، والجهل باللغة العربية وأساليبها ، والاعتماد على النصوص الموضوعية ، وكيف استعمل لذلك طريق البعثات الخارجية والمدارس الأجنبية .

ومن الصور الحديثة : تبني محبي الزعامة في إنشاء فرق ضالة تؤثر في المجتمعات المسلمة ، كالبابية ، والبهائية ، والقاديانية ، ومنها : الحرب النفسية المصحوبة بالإرهاب والسخرية ، واستعمال الكاريكاتير والمسرح في ذلك ، لإحداث الهزيمة النفسية ، ومنها : الصهيونية والماسونية بنواحيها ، والكيد اليهودي في تمزيق جسد الأمة ، والصليبية الحاقدة ، والتنصير داخل المجتمعات المسلمة ، ومنها : النفاق المعاصر ، وأثره في تعويق العودة الصحيحة إلى الإسلام بتكامله ، ومنها : القتال المدمر ، ومنها القوى الخارجية شرقية وغربية .

ومن الأسباب التي ذكرتها لهذه التحديات : الجهل والجمود العقلي ، والإلف للموروث عن الآباء ، والمقاييس الجاهلية ، والترف والشهوات ، والخوف من ضياع المكانة في قلوب الناس ، والخوف من فوات المغنم المادية ، وفساد التصورات عن الله — سبحانه — وعن النبوة ، والحقد ، والحسد ، وخشية مواجهة المشاكل ، وتضليل الرأي العام الغربي في قلب الحقائق المتصلة بالإسلام والمسلمين ، والأغراض الاستعمارية في احتواء العالم الإسلامي ، وغير ذلك . وتناولت بعد ذلك المواجهة قديما وحديثا ، فكانت في الصبر مع الحركة الواعية للخروج من دوائر الفتنة ، والثبات والاستمرار في الدعوة ، وبيان وجه الحق أمام من لا يعرفه ، وبسط حقائق الإسلام وترجمتها للآخرين ، والرد على الشبهات بعقل وحكمة وحجة

قوية ، وتقوية الأنفس أمام عوامل الهزيمة النفسية ، والتخطيط الثقافى الذى يبنى النفس والمجتمع بناء متكاملا ، وأن تكون أمة دعوة ، فتقوم بالغزو الفكرى الصحيح الذى يسعد البشرية ، وأن نبني أنفسنا بناء ماديا قويا يجبر الآخرين على احترامنا ، ويخرجنا من دائرة التبعية والتخلص من آثار التحديات السابقة فى تفریق الأمة وفى ثقافتها وفى علاقاتها ، وتحقيق مفهوم الأمة الواحدة ، وأن تأخذ هذه المواجهة الجانب العلمى التطبيقى ، ثم ذكرت أن هذا الصراع بين الحق والباطل من سنن الله فى هذه الحياة ؛ ليميز الخبيث من الطيب ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضهم ببعض ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد .



في هذا الموضع الذي فيه  
 يوجد في هذه الموضع  
 في هذا الموضع الذي فيه  
 يوجد في هذه الموضع  
 في هذا الموضع الذي فيه  
 يوجد في هذه الموضع  
 في هذا الموضع الذي فيه  
 يوجد في هذه الموضع  
 في هذا الموضع الذي فيه  
 يوجد في هذه الموضع

في هذا الموضع الذي فيه  
 يوجد في هذه الموضع



## المراجع

- القرآن الكريم .  
الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية .  
د . قاسم السامرائى — منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة .. ط  
أولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .  
إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ،  
الأستاذ مالك بن نبى — دار الإرشاد للطباعة والنشر « ط » أولى  
١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م  
البايون والبهائيون .  
عبد الرزاق الحسينى .  
البهائية .  
السيد محب الدين الخطيب — المكتب الإسلامى ط سنة ١٤٠٠ هـ  
البهائية : تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية  
عبد الرحمن الوكيل « ط » أولى ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م  
البهائية : نقد وتحليل .  
الأستاذ إحسان إلهى ظهير « ط » ثانية ١٤٠١ هـ .  
تاريخ البابية أو مفتاح باب الأبواب .  
د . ميرزا محمد مهدى خان — مجلة المنار سنة ١٣٠١ هـ .  
الجامع لأحكام القرآن .  
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى . طبعة وزارة الثقافة  
القاهرة ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م

جامع الأصول في أحاديث الرسول .

للإمام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد : ابن الأثير  
الجزرى ٥٤٤ هـ — ٦٠٦ هـ تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط .

جامع البيان في تفسير القرآن .

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى سنة ٣١٠ هـ — دار المعرفة  
بيروت .

جند الله في معارك رمضان .

د. محمد رأفت سعيد . ملحق مجلة الجندى المسلم العدد ٣٣ ، سنة  
١٤٠٤ هـ .

حاضر العالم الإسلامى .

تأليف : لوثرروب ستودارد الأمريكى — ترجمة الأستاذ عجاج نويهض  
تعلقات الأمير شكيب أرسلان — دار الفكر « ط » الثالثة ١٣٩١ هـ .

الحركات الهدامة : القاديانية .

أبو الحسن الندوى ، أبو الأعلى المودودى ، ومحمد الخضر حسين .  
الدار العربية للطباعة والنشر .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .

للمحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . المتوفى سنة ٤٣ هـ  
دار الكتاب العربى بيروت « ط » . الثالثة ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

خطابات عبد البهاء .

خفايا الطائفة البهائية .

د. أحمد محمد عوف . الناشر : دار النهضة العربية ، القاهرة  
١٩٧٢ م

دراسات عن البهائية البائية .

تأليف : الأستاذ محب الدين الخطيب والمستشار علي منصور

والأستاذ : محمد كرد علي والأستاذ محمد فاضل

ذيل الملل والنحل .

السيرة النبوية .

لابن هشام . تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، ونسخة أخرى

حققها مصطفى السقا ، وإبراهيم الإياري ، وعبد الحفيظ شلبي .

السيرة النبوية في القرآن .

د . عبد الصبور مرزوق — سلسلة دعوة الحق — رابطة العالم

الإسلامي مكة المكرمة . العدد ٦ .

السيرة النبوية .

السيد أبي الحسن علي الحسنى الندوى — دار الشروق « ط » أولى

١٣٩٧ هـ .

شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامى .

الأستاذ أنور الجندى — المكتب الإسلامى ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

صحيح البخارى .

المكتبة الإسلامية — استانبول — تركيا .

الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام .

د . عبد الستار فتح الله سعيد « ط » ثانية ١٣٩٩ هـ — مكتبة

المعارف .

الفرق بين الفرق .

عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى . المتوفى ٤٢٩ هـ —

— ١٠٣٧ م

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت لبنان

### الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى . المتوفى سنة ٤٥٦ هـ دار  
الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان .

### فضائح الباطنية .

أبو حامد الغزالى — حققه وقدمه له عبد الرحمن بدوى — الدار  
القومية للطباعة والنشر — القاهرة ، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م  
فقه السيرة .

الأستاذ محمد الغزالى « ط » سادسة ١٩٦٥ م — دار الكتب  
الحديثة .

### القاديانى والقاديانية : دراسة وتحليل .

الأستاذ أبو الحسن على الحسنى النوى . الدار السعودية للنشر ط .  
الرابعة ١٣٩١ هـ .

### القاديانية : دراسة وتحليل .

الأستاذ إحسان الهى ظهير ط ثالثة سنة ١٣٩٥ هـ .

المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها .

د . عبد الرحمن عميرة .

معمر بن راشد الصنعانى : مصادره ومنهجه ، وأثره فى رواية الحديث .

د . محمد رأفت سعيد ط أولى — عالم الكتب بالرياض .

---

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٠٢٩ / ٨٦

---

التقييم الدولى ٠ — ٨٦ — ١٤٢٠ — ٩٧٧

---

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٧	تمهيد « حالة المجتمعات البشرية قبل الإسلام »
١١	المفاجأة والتحديات

### الفصل الأول

١٥	صور التحديات القديمة
١٥	أولاً : الفتنة في الأبدان والأموال
٢٢	ثانياً : محاولة التشويه لشخصية الرسول ( ﷺ )
٢٥	ثالثاً : محاولة التشكيك فيما يدعو إليه ( ﷺ )
٢٩	رابعاً : المساومة والإغراء
٣١	خامساً : السخرية من المؤمنين من المبادئ التي آمنوا بها
٣٢	سادساً : عداوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى
٣٩	سابعاً : النفاق
٤١	ثامناً : القتال المسلح
٤٢	تاسعاً : القوى الخارجية

### الفصل الثاني

٤٥	صور التحديات المعاصرة
٤٦	أولاً : الفتنة في الأبدان والأموال
٤٨	ثانياً : الاستشراق
٦١	الطعن في مضمون الدعوة
٦٩	تصوير واقع المجتمعات المسلمة تصويراً مشوهاً

الصفحة	الموضوع
٧٤	ثالثاً : أهل الكتاب
٧٥	رابعاً : النفاق المعاصر
٧٦	خامساً : القتال المدمر
٧٦	سادساً : القوى الخارجية شرقية كانت أم غربية

### الفصل الثالث

ظهور الفرق الضالة :

٨١	تبنى محبى الزعامة فى إنشاء الفرق
٨٢	نماذج من وجهات النظر المتعددة وكيف يتم الاتفاق
٨٥	— الباطنية
٩٠	منهج الدعوة إلى باطلهم
٩٥	— البابية
١٠٦	— البهائية
١١١	— القاديانية

### الفصل الرابع

١١٩	أسباب التحديات ومواجهتها
١١٩	أسباب التحديات قديماً وحديثاً
١٢٣	مواجهة التحديات قديماً وحديثاً
١٣٠	سنة الله فى الصراع بين الحق والباطل
١٣٥	الخاتمة
١٣٩	المراجع
١٤٣	الفهرس

### مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

نكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤

## هذا الكتاب

منذ أن سطع نور الإسلام وصدع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأمر ربه والإسلام يواجه بتحديات المغرضين وتحريف المبطلين إلا أن الإسلام المنزل من عند الله المنزه عن الباطل تنهاوى أمامه هذه التحديات رغم قوتها .

ولا يزال الحق والباطل يصطرعان وسيظلا هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فما زال الإسلام مستهدفا ولا يزال الباطل متبجحا معاندا رغم زيف منهجه وتهافت يقينه . ولما كانت التحديات مستمرة كان من الخير تتبعها والوقوف على صورها وأسبابها وكيف واجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا من بعده ليكون لنا في مواجهتهم لها أسوة وإرشاد .

وقد وضّحت هذه الدراسة صور التحديات قديما وحديثا وكيف كانت خروجا عن المنطق السليم حيث يواجه المعروف بالانكرات ويقابل الإحسان بالسوء .

والله نسأل أن يُحصّن الإسلام وأن يعزّ أهله

وعلى الله قصد السبيل

دار الوفاء



صادر الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ش. م. م. - الدمام

التوزيع : شارع البحر أمام كلية الطب . ت : ٣٤٧٤٢٣

المطابع : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب - عمارة الوفاء

ت : ٣٤٧٢٢١ - ص. ب. : ٢٣٠ - تليكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

